روايات عبير

٤٤٧

وتحقق الأمل

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

No:447

وبتنهيدة غيظ أخفض "تانير" ذراعيه وتفرس المرأة الشابة طويلا ثم جذبها ناحيته وقبلها بقوة. أخيرا طالب بشفتيها اللتين قبلهما بنهم .

همس أمام فمها :

- لا تعرفين ما سافعله بك إذا بقيت. لقد حذرتك لكن الوقت قد فات الآن . . . فات .

حملها "تانير" بيديه القويتين واقترب بجسده من جسدها .

تعلقت "جوان" بكتفيه وهي تتاوه. ثم ذهب بها إلى مربط حصان فارغ ووضعها برقة على التبن وهمس :

- سافعل بك ما كنت ارغب أن افعله منذ اول يوم رايتك فيه. أحبك يا "جوان" وسائبت لك ذلك فورا ...

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$
U.K	1.5
France	15F.F
Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.

المقدمة

هذه الرواية تظهر ان المراة مهما بلغت من العلم، ومهما كان لها من طموح في حياتها العملية فهي لا تغفل عن انوثتها، وعن حقها في الحياة كزوجة وام.

كما انها تبين لنا - في عرض شيق - كيف ان للمجتمع والظروف المحيطة بالإنسان اثرا ينعكس على تصرفاته تاركا بصماته على شخصيته.

ولقد اظهرت لنا الرواية - خلال المشاهد المختلفة - ان الامل هو شعاع، وإن بدا وكانه يضعف احيانا إلا انه يعود ويتوهج حينما يبلغ المرء مراده.

شخصيات الرواية

"تانير ويست" : شاب غريب في تصرفاته، ويلقبونه في المدينة التي يعيش بها بالشخص الخارج على القانون، لكن رغم ذلك فإنه مثار إعجاب جميع نسائها.

"چوان اندريسون": محامية شابة أرملة، في الثامنة والعشرين من عمرها تعيش على ذكريات ماضيها مع زوجها الذي رحل إلى العالم الآخر.

"جلينا" : سكرتيرة "چوان" في المكتب وصديقتها في ذات الوقت.

"ديف ماكليستر": صديق "تانير" ولا يهتم - كما يبدو - إلا بالنساء.

www.elromancia.com

الغلاف الأمامي

تدور أحداث هذه الرواية في مدينة "ديكتون" الصغيرة حيث تعمل "چوان أندريسون" بالمحاماة لكنها تعيش حياة فاترة ومملة بعد وفاة زوجها. تتوسم هذه المحامية في "ديف ماكليستر" الشخص الجدير باتمام مسيرة حياتها معه إلا انه يرتبط بالفتاة الشقراء "ليندا" وفي ذات الوقت لا تعرف كيف تجذب انتباهه إليها. تقرر - حينذاك - اللجوء إلى صديقه "تانير" لكي يساعدها في ذلك لانه خبير بالأمور العاطفية. ويبدأ "تانير" في تلقينها دروس الحب. ترى كيف تتصرف هذه الشابة المراهقة في مدرسة الحب؟ هل تنجح حقا في غزو قلب "ديف"؟ من ناحية أخرى ما موقف "تانير" منها؟ إنه ذلك الرجل الذي يرى أن النساء لا يختلفن عن بعضهن . ما سبب هذه العقدة؟ ما المفاجأة التي تنتظره في نهاية القصة؟

كل هذه الأحداث ستتعرف عليها - عزيزي القارئ - عند متابعة هذه القصة المليئة بقصص الحب الملتهبة والمفاجآت غير المتوقعة.

الفصل الأول

- قولي لها.. قولي لها..

تنهدت "چوان أندريسون" بشدة من فرط ضيقها لدرجة انها تسببت في تناثر خصلات شعرها الكستنائي النازلة على جبينها في هيئة فراشة.

أردفت:

- قولي لها أن تتوقف..

- تتوقف؟ نعم يكفي التفكير به! إنه أمر بسيط للغاية!

رفعت "چوان" عينيها عند سماع النبرة الساخرة التي فاهت بها السيدة الشابة المستندة بكوعها على حافة مكتبها.

كانت "جلينا باكستير" صغيرة القوام، سمراء، ممتلئة، ذات وجه كالدُمية، لكن مشيتها العسكرية كانت تتعارض تماما مع ملامحها وهي

www.elromancia.com

صديقة ممتازة وسكرتيرة تفوق اقرانها.

استطردت "چوان" مستفسرة وقد ازدادت غيظا :

- إذن ماذا ينبغي أن أعمل الآن؟ لقد سبق لي أن شرحت للآنسة "رودال" أن تصرفاتها هذه قد تعرضها جديا للضرر قلت لها هذا مواجهة، بالتليفون وبالبريد. ولم أعد أعلم كيف أتصرف الآن؟

كررت "جلينا":

- تصرفاتها سوف تعرضها للخطر؟! طريقة كلامك هذه غير كافية يا "چوان". كان عليكِ أن تعرفيها أنه ليس من اللائق أن نطلق النار هكذا على الموظفين الذين أتوا لرفع العدادات الكهربائية... خاصة وأن لنا نية رفع قضية على الشركة التي يعملون بها.

أجابتها "چوان" محاولة إخفاء الضحك:

- لكنه لم يكن سوى مسدس مائي!

- الموظف لم يكن يعلم! إذ إن الآنسة "رودال" سبق وقذفته بالحلوى بواسطة مقلاع، لذا منذ ذلك اليوم وهو يخشى أن يحدث له ما هو أسوأ.

قالت "چوان" وهي تبعد ياقة قميصها:

- الجو حار! ألا تشعرين به؟ ماذا لو وضعنا جهاز تكييف؟

- كفي عن تذمرك هذا يا "چوان". إنهم كبار المحامين الذين في إمكانهم الحصول على هواء مكيف في مكاتبهم. أما مع قلة عملائك فعلينا إما أن نتنفس في هدوء، وإما أن نطلق النار نحن أيضا على أولئك الذين يأتون لرفع العدادات. ابقي في مكانك لا تتحركي، سأسرع بإحضار مشروبات باردة..

ولما أغلق الباب بعد خروج "جلينا"، ألقت "چوان" نظرة على ملفها وعلى شفتيها ابتسامة كمن تعترف بالحقيقة. زبونة... هذا يبدو واضحا!!

لقد كانت هذه السيدة الشابة تعلم أنها محامية ممتازة، ولكن في مدينة "ديكتون" في "تكساس" التي لا يتعدى تعدادها عشرة الآلاف نسمة لا يتواجد محامون إلا إذا كان اباؤهم قد مارسوا هذه المهنة من قبلهم.

كما أنه في هذه المنطقة من الولايات المتحدة يرون في عمل المرأة في القضاء أمرا خارجا عن المألوف، فهم يعتقدون أنه يتنافى مع طبيعتها.

إنها وجهة نظر مدهشة لكنها لا تبسط الأمور.

لقد كان من دواعي عدم توفيق "چوان" في هذه المدينة أنها ولدت وترعرعت بعيدا عنها.. الأمر الذي يعني أن فرصتها في إيجاد عملاء- وهم قلة- كانت تأتيها عن طريق أشخاص دخلاء على المدينة، أو أن يكون المحامون الآخرون قد رفضوا الدفاع عنهم مثل "سيرافينا رودال" هذه العجوز المجنونة.

ومن حبها لـ"ديكتون" اعتبرتها "چوان" مدينتها، ولقد كانت لها مكانة عالية عند سكانها الذين كانوا - تعبيرا عن مشاعر حبهم لها - يدعونها في أعيادهم ويتوجهون إلى مكتبها للتسامر معها، ويحضرون معهم فطائر مصنوعة في منازلهم ويقدمون لها النصائح إذا ما أصابها الزكام.

ولكنهم لم يأتوها أبدا بقضايا تترافع عنهم فيها!!

أخذت "چوان" ملفا من على المنضدة وتصفحته بضع لحظات ثم أغلقته بتنهدات عميقة.

لقد كانت تشعر في داخلها منذ بضعة شهور بحالة نفسية عجيبة إذ كان صوت داخلي يهمس لها: الوقت يمر.لقد كان هذا صحيحا، فهي في الثامنة والعشرين من عمرها، امراة وهبتها الطبيعة كالأخريات كل ما يلزم لاستمرار الجنس البشري.. إلا أن "چوان" كانت تعلم أن هذا الطبع الخاص لا يمت بصلة إلى الساعة الزمنية أو الميراث. إنه يمت بصلة إلى الوحدة و... الحب. كانت "چوان" ترغب في تكوين أسرة.

بعد لحظات وقد بدا عليها الحزن أمسكت ببرواز موضوع على مكتبها ولمست بأطراف أناملها هذه الصورة التي هي لشاب أشقر مبتسم. كانت ترى في وجهه - الذي تظهر عليه الرجولة الكاملة - نظرة رقة وحبا. ثم بعد فترة التفكير هذه تنهدت "چوان" قائلة:

- لم تركتني يا "چوني"؟!

كانت تتمنى أن يكون لها طفل قبل اختفائه، طفل يكون جزءا منه يذكرها به وتهبه نفس الحب والحنان وتعزه كما قد أعزته من قبل..

كانت تخشى أن يكون باب قلبها قد لا يرحب بعد رحيل "چوني" بدخول رجل آخر إليه، رجل تستطيع تكوين أسرة معه.. ثم تعود لتتذكر كمال صفاته، وكيف كان بالنسبة لها أكبر محب، وأكبر صديق، وفي اعتقادها أنها لن تجد الرجل الذي يشاركه نفس الصفات.

كانت "چوان" تعلم دائما أنها ستتزوجه. إذ إنه من أول يوم شغلت فيه أسرته المنزل المجاور لهم أصبح رفيقها في لهو الطفولة، ثم فتى أحلام الفتاة الصغيرة... ومرت السنون وعندما طلبها للزواج كانا قد حددا مستقبلهما: إذ إنهما قد حصلا وقتئذ على ليسانس الحقوق. أما "چوني" فكان يعتزم الانخراط في سلك السياسة ليكفل لأسرته حياة

فضلى.

لم تشك "چوان" يوما في أن حلمهما لن يصبح حقيقة.. ولكن هل كان في استطاعتها معرفة الغيب وأن المستقبل المرتقب ليس من نصيب "چوني"؟

وكم من مرة خلال هذه السنوات التسع الأخيرة فكرت في قبول أول من يتقدم لها بدافع رغبتها القوية في أن يكون لها أبناء ؟

لقد تقدم لها رجال أكفاء كثيرون في استطاعتهم منحها حياة سعيدة ممتعة وايضا محاطة بالأطفال. ومع ذلك لم تقتنع "چوان" بقبول اختيار ثان. كانت تشترط فيمن تحبه أن يكون قويا مثل "چوني" الذي كانت قد أحبته من كل وجدانها .

عادت "جلينا" إلى المكتب.

- هانا قد أحضرت لك المياه المعدنية. كيف ستشربينها؟! تبدو وكأن لها يوما كاملا في قاع القدح.

وبعد أن وضعت كوبا كبيرا من الورق على المكتب بالقرب من "چوان" حولت نظرها نحو النافذة وما هي إلا لحظات وإذ بها تصيح متعجبة قائلة:

- تعالي! انظري ما أشاهده الآن ! اكاد اقسم أن هذا الرجل تعلم من المهد كيف يسحر النساء!

دارت "چوان" على مقعدها ونظرت من النافذة ، وفجاة خفق قلبها.. لقد رأت على الجانب الآخر من الشارع رجلا ذا شعر كستنائي به بعض الخصلات الشقراء، راته يبتسم لزوجة العمدة.. آه لقد تعرفت على هذا الوجه الجميل! "ديف ماكليستر".

www.elromancia.com

كان "ديف" يعيش مع والده "چون چوزيف ماكليستر"، في مزرعة "اشيلون" الشهيرة. لقد كان "ديف" و"چون" شريكين رسميين غير ان "ماكليستر" الكبير - على الرغم من بلوغه السبعين من عمره وايضا على الرغم من الشلل الذي أصاب ساقيه - كان يدير بمفرده مشروعه الذي أصبح مملكة حقيقية.

لقد اكتسب - على مر السنين - قدرا كبيرا من التقدير والثروة، لكنه كان عديم الشفقة في معاملاته، أما ابنه فلم يرث طباعه، إذ لم يكن في مقاطعة "ويلك" إنسان حائز على إعجاب ومحبة الناس مثل "ديف ماكليستر".

وعند رؤيته - بسرور واضح عجزت عن إخفائه - أحست "چوان" للمرة الأولى منذ تسع سنوات بشيء ما أكثر من أن يكون مجرد اهتمام.

ترى هل وجدت أخيرا الشخص الذي يعوض "چوني" ؟

أما "جلينا" فعلقت على ما ترى قائلة:

- مستحيل! كم تؤثر في داخلي رؤية هذا الرجل.. ليس فقط لأنه أكبر ساحر للقلوب إنه... لا أعرف. إنما أيضا له مشية خطيرة.. كأنه...

قاطعتها "چوان" بلهجة أظهرت اهتمامها:

- أتعتقدين أن "ديف" خطير؟ إن الوداعة - حتى ولو من على بعد - تبدو على وجهه.

- "ديف"؟ ومن تكلم الآن عن "ديف"؟

في هذه اللحظة لمحت "چوان" شخصا آخر خلف "ديف" ففهمت انه ذاك الذي تتكلم عنه سكرتيرتها، إنه "تانيرويست".

لم يكن "تانير" رئيس عمال مزرعة اشيلون" فقط ولكنه كان صديقا

حميما لـ"ديف" أيضا. وهي تعلم انهما قد تربيا معا. وكما يحكى أن هذا الأخير كان يعمل أفضل مما يمكن أن يتخيله إنسان. لذا فهي تتعجب لصلة الصداقة بينهما، إذ إنها تراها غير منطقية، لانه كيف يكون لهذا الشخص اللطيف، الصادق، الملتزم، المتين، صديق مثل "تانير"؟

ثم نهضت "چوان" بدافع لا شعوري نحو النافذة، ولحقت بـ"جلينا" عند النافذة. لقد كان "تانير" كبير الجسم، مفتول العضلات، له هيئة المصارع، أما شعره الكثيف الأسود فكان يكسو رقبته ويبدو دائما أن رياح تكساس القوية هي من تصففه . وكان يرتدي "چينز" باليا من عند الوسط، وإن لم يكن في استطاعتها رؤيته بوضوح إلا أنها لمحت بريقا مجنونا يطل من عينيه السوداوين.

إن السيدة الشابة لم تكن تحبه، وكثيرا ما كانت تتساءل: عما إذا كانت طريقة سيره ومظهره هما اللذان يخلقان فيها هذا الشعور نحوه أم هو الاستخفاف الواضح الذي يظهره لها؟

لقد تقابلا من قبل منذ بضعة اسابيع بعد استقرار "چوان" في "ديكتون" ليلة حفلة "لون ديس" .

"لون ديس" هو احتفال محلي يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر. إذ إن بعض الفرنسيين كانوا قد وجدوا الماوى في منطقة تكساس هذه، ومنذ ذلك الحين وهؤلاء الزراع يجتمعون في "ديكتون" لتقديم صلاة شكر لله على عنايته بهم، وإعطائه إياهم- عز وجل - فرصة الاستيطان في هذه الأراضي.

رويدا.. رويدا.. بدأ مبدأ هذا التقليد يتغير وأصبحت احتفالات "لون ديس" عبارة عن تقديم العاب مختلفة من بينها الرقص بالخيل مع

www.elromancia.com

إطلاق الصواريخ ذات الألوان المبهجة. وكانت المهرجانات تنتهي برقصة شعبية يشترك فيها الجميع: الشباب والشيوخ، الأغنياء والفقراء في مظاهر الود والتآلف والانسجام.

عندما بدأ الليل يهبط - وقد كانت "چوان" تحضر المهرجان - تملكها إحساس عميق بالوحدة والغربة عندما رأت الأزواج يتجمعون من حولها. وعندما رفعت بصرها - وكان في عينيها حزن عميق - لمحت رجلا مستندا إلى حائط في بداية الطريق المظلم..

كان واقفا وحيدا في الظلام يتأمل مجموعات الأطفال التي تقوم بتقليد الوالدين في الرقص وسط قهقهة بريئة... عندما شعر بها توجه نظراتها القلقة إليه التفت نحوها ببطء. في نفس الوقت أطلقت الصواريخ وغطت أضواؤها سماء "ديكتون" واهتزت "چوان" أمام جمال هذا الوجه النحيف الذي أظهرته الأنوار.

وما هي إلا لحظة خاطفة تلاقت فيها نظراتهما حتى أحست "چوان" بقيود سحرية تربطها فجأة بهذا الشخص المجهول. كان لها إحساس غريب لم تعتده من قبل، إذ كان في عينيه ما يجعلها ترتبك وتضطر إلى تحويل النظر عنه.

لم يستغرق هذا أكثر من ثوان وقد اقتنعت "چوان" أنها تحت تأثير الدوافع المحيطة بها، استسلامها لخيالها بعض الوقت..

عند لقائها الثاني مع "تانير" اكتشفت "چوان" أن نظرته تحتوي على مزيج من الاحتقار والحقد ظنته في بادئ الأمر يشكل جزءا من طباعه، ربما يكون هذا هو سلوكه مع كل الناس.

لكنها غيرت حكمها عليه عندما رأت تصرفاته مع أناس آخرين، إذ

كان يتصرف بلياقة مع البعض، وقد يبدي عدم الاكتراث مع الآخرين. أما بالنسبة لـ"چوان" فهو كان يضمر لها الخصومة وربما العداوة. بينما كانت تنظر إليه عبر النافذة أيقظ "تانير ويست" بداخلها - مرة أخرى - ردود أفعال غريبة. إن هذا الرجل لايبدو في نظرها جديرا بالاحترام مع فمه المغري وعينيه الثاقبتين.

بعد قليل قالت "جلينا" معلقة:

- لو لا هذا الـ"تانير" ما وجد الناس في هذه المدينة ما يتكلمون عنه. يخال لي أني قد سبق وقصصت لك كيف أنه ظهر بالحصان وسط حديقة "إيدي ولويز ويلر" في تلك الليلة التي أفرط فيها في الشرب، والأغرب من هذا أن "ديڤ" يدافع عنه.

أجابتها "چوان":

- إنه طابع "ديڤ".

- نعم... ولكي أتحدث بصراحة فإنني اعتبر "ديڤ" تافها بعض الشيء. لكنني أعتقد أن مسألة تحمله الدفاع عن "تانير" ترفع من قدره. لحسن الحظ أن هذا الشخص الهمجي بقي بيننا فهذا أضاف بعض المذاق إلى مدينتنا الصغيرة. يبدو دائما أنه خارج على الفور من على السرير. سرير شخص آخر..

وأكملت قولها:

- أما بالنسبة لـ"تانير" فأنت على حق منذ البداية يا "جلينا"، إنه رجل خطير.

- نعم!

جاءت إجابة "جلينا" وهي مستغرقة في أحلامها، ثم ابتعدت عن

www.elromancia.com

النافذة ... وقالت :

- هيا إلى العمل يا "چوان". أما أنا فسالحق بالبريد.

وانتعشت فجاة نظرتها، ثم قالت:

- فضلا عن ذلك سأذهب من الآن إلى عملي سيرا على الأقدام... فقط في حالة مقابلة - "تانير".

بينما أمسكت صديقتها بكمية من أظرف الخطابات انصرفت "چوان" وهي تضحك، ثم عادت إلى مقعدها لتجلس.

لم تدهش "چوان" من أي شيء عرفته من "چلينا" بخصوص "تانير" ولكن ما أدهشها هو أن صديقتها لم تكن تتوقع أن يدافع "ديف" عنه.

لقد كانت "چوان" ترى في "ديف" هذا النوع من الرجال الذي لو كان "چوني" على قيد الحياة لشابهه، رجل مستقيم كامل ولا شك في إخلاصه..

مرة أخرى تاملت صورة "چوني" الموضوعة أمامها على المكتب. كان اليوم سيبلغ الثانية والثلاثين من عمره، أي أصغر قليلا من "ديف". وإن كانا غير متطابقين في الملامح، غير أن لمحة الرقة تنبعث من كليهما. يشبه "ديف" "چوني" أيضا في هدوئه وثقته بنفسه وهو أيضا متعاطف مع أصدقائه.

كان في إمكان "ديف" تكملة ما لم يجد "چوني" الوقت للقيام به. كان سيصبح أبا محبا وزوجا كريما.. "ديف".. سيصبح...

وفجاة سمعت صوتا.

- ماذا يا "چوان" أحلام غرامية؟!!

وقبل أن تلتفت عرفت لمن هذه النبرة الحادة العميقة، إنه

"تانيرويست".. كان الباب المطل على الشارع مازال مفتوحا. استند "تانير" - بلا اكتراث - على رافدة النافذة ونظراته المتقدة مصوبة على "چوان"، ثم أتى ليقف أمامهما.

سالها وابتسامة ساخرة تعلو شفتيه:

- هذا هو ما تعملين طوال اليوم؟ الجلوس والاستغراق في الأحلام المثيرة للرغبة؟ أهذا هو ما يثيرك ؟ أتعتقدين أن....

قاطعته "چوان" بنبرة جافة:

- ماذا تفعل هنا يا "تانير"؟!

بحركة سريعة هز كتفيه العريضتين مجيبا:

- لقد أتيت لزيارتك. لقد انتابتني رغبة مفاجئة في اجتياز الجهة الأخرى من الحواجز لاقابل العفة الأخلاقية. إنك يا "چوان". امراة طيبة ولكن اخبريني هل الفضيلة لديها هذه الذكرى الباقية؟

وقد فرغ صبرها قرعت "چوان" بقلمها على المكتب طالبة منه أن يدخل في الموضوع. حملق "تانير" إليها طويلا ثم قال:

- "چو" يرجوك بالتوجه إلى المزرعة بعد الظهر، لأنه يريد القيام بتعديل وصيته بعد أن رأى المسنين يرحلون الواحد تلو الآخر.

لم تتمكن من إخفاء دهشتها. فاجابته:

- أنا ؟ العجوز "چو" ... أقصد السيد "ماكليستر" يريد أن أتبنى موضوع وصيته؟ أحقا قال لك ذلك؟

- من السهل التفاهم مع "چو" إنه يقضي معظم وقته في الصراخ أكثر من الكلام.

- ولماذا أنا بالذات؟ أعرف أن الشخصيات المرموقة، مثل "چو

www.elromancia.com

ماكليستر" تفضل الذهاب إلى "دوني لي".

"دوني لي كوكر" لم يكن من مواليد "ديكتون" ولكنه لقد كبر فيها، وهاهو يمارس مهنة القضاء منذ اكثر من ثلاثين سنة في هذه المدينة .

كررت قولها:

- لماذا أنا؟

- جلس "تانير" أمام "چوان" ووضع إحدى ساقيه على الأخرى.

- هذا يرجع للمنافسة التي كانت بين "چو" و"كوكر" في شبابهما، ولقد كان "چو" زبون "اموس" في كليستر. لكن "اموس" رحل وقرر "ماكليستر" أن يتعامل معك. وعليك الآن البدء في إجراءات تعديل الوصية.

- مع هذا انا غير مقتنعة، إن أمامه فرصة للاختيار، إذ إن عدد المحامين كثير جدا في هذه المدينة نذكر منهم "چاك واتكينس" و"اوبي وچينج".. وايضا "توم جولسي". أليس هذا الأخير متخصصا في القانون الزراعي؟

بابتسامة ماكرة استطرد:

- ليس لديك زبائن وانا واثق أن "چو" اختارك لعدة أسباب: السبب الأول هو أن يهزم "كوكر" ويضعف مكانته، وستعرف كل المقاطعة أن "چو" يفضل التعامل مع امراة عن أن يتعامل مع "دوني لي كوكر" .

اقرت "چوان" بداخلها أن "ماكليستر" دائما ما يتبع هذا السلوك. كانت نزاعاته - في أيام مجده - معروفة تماما مثل مغامراته العاطفية.

تمتمت "چوان" تحت تاثير صدمة الخبر:

- "چون چوزيف ماكليستر" يريد أن أساعده في تعديل وصيته؟!!

وبضحكة صغيرة علق "تانير" :

- يبدو أنك قد بدأت في فهم الموضوع.. ثم إنه أيضا بعد الانتهاء من مهمتك سيكون لك الحق في تناول الغداء مع العجوز "چو" . قولي يا "چوان": هل تثيرك فكرة الجلوس على نفس المائدة مع "ديف"؟

إزاء النبرة التي استخدمها "تانير" اضطرت السيدة الشابة إلى أن تلقيه بنظرة ثاقبة.. ولما رأته يقترب من المكتب وينحني عليها، وقبل أن تجد فرصة لصده امسك بخصلة من شعرها لفها حول اصابعه وارتجفت ثم ابعدت رأسها عنه وقد تغير إحساسها بالنفور إلى الغضب.

لقد تعجبت "چوان" كيف تجرأ على لمسها؟ كيف يحاول اللعب بعقلها وبعواطفها؟ ليس له ادنى حق في ذلك!

وبجسارة اطلق "تانير" صفيرا طويلا بعد حملقته في وجهها كثيرا، ثم قال بصوت اجش:

- يا له من سحر! عندما تثورين تفقدين كل ما هو لفتاة صغيرة، ونظرتك تصبح عنيفة مثل العاصفة. كان ينبغي أن تتخذي هذا الموقف امام "ديف" يوما ما!سيلاحظ هذا فيك بالتاكيد.

تنهدت من فرط المها..لكنها كانت تعمل على إخفاء ثورتها حتى لا يسير، وضغطت على أسنانها عندما رأته يحاول الاقتراب من كرسيها على بعد بضعة سنتيمترات منه.

ثم سالها:

- هل تعرفين مشكلتك؟

أجابته:

www.elromancia.com

- نعم! إنهم الرجال الأغبياء الذين يظنون انني اهتم بتصرفاتهم.

- كلا! إن مشكلتك هي انتِ! انتِ لا تعرفين نفسك جيدا، إذ إنه في طفولتك قال لك أحدهم ذات يوم: إنك فتاة شجاعة فوثقت في كلامه كالبلهاء، وقضيت حياتك في هذه الكذبة..

احتجت "چوان" بجفاء:

- انت لا تعرف شيئا عني!

- ربما - ربما لا - إنما أحيانا أشعر أن نارا تلتهب فيك يا "چوان".. ليست مثل التي يضيئها أو يشعلها صغار الكشافة، إنما نار قوية.. مثل تلك الليلة التي قابلتك فيها أول مرة.

توقف "تانير" لحظة تكفي لإعطاء فرصة. لاسترجاع الذكريات بينهما. ثم تمتم:

- هذا الشعاع كان يظهر في عينيك مساء "لون ديس" يا "چوان"، هل تنوين الانتظار عشر سنوات أخرى حتى يظهر هذا الشعاع مرة أخرى وتتحرري من هذه القيود التي تكبلك؟ هناك شيء مؤكد: هو إنك لا تفعلين شيئا سوى إشعال النار التي تلتهمك. هذا هو ما تفضلين أن تتجاهليه وتدعين عدم وجوده. لكن دعيني اقول لك شيئا: إذا قررت في يوم ما أن تطفئي هذه النار التي تلتهب في داخلك لوجدت جميع الرجال تحت أقدامك يتسابقون من سيكون الأول في غزو قلبك.

سألته "چوان" رغما عنها:

- ولماذا تقول لي هذا؟

- اهدئي. غاية ما في الأمر انني اردت أن أكشف لك عن انطباعي، لانك فتاة صغيرة ممتازة. اليس كذلك؟

- ليس لديك افضل من أن تأتي عندي حتى تقص علي هذه الأكاذيب؟

دون أن يجيبها أمسك "تانير" بصورة كانت "چوان" تحتفظ بها على مكتبها. ثم قال قبل أن يلقي على المرأة نظرة لها مغزى:

- هذا هو إذن "چوني" العجيب والزوج الذي مازلت تبكينه. يبدو وكانه اخوك أكثر من أن يكون زوجك، كما أن له أيضا مظهرا كمظهر قد يكون لأمريكي صغير مهذب.

أخذت "چوان" الصورة من يده بهدوء ووضعتها في مكان بعيد عن متناول يده.

- من كلمك عن "چوني"؟

فاجابها بنبرة جافة مبتسما:

- سؤال ساذج جدا يا عزيزتي. لك من الزمن في هذه المقاطعة ما يكفيك لمعرفة كيف تسير الأمور هنا.

نعم! في الواقع، "چوان" تعلم سير الأمور في هذه المدينة. ولقد نزحت إلى "ديكتون" لتحقيق حلمها: أن يكون لها مكتب وزبائن تقدم لهم الخدمة التي يستحقونها. غير أنه للمدن الصغيرة بعض الأضرار، إذ إن ما يخص الشخص الواحد، أي أن أموره الخاصة تصبح موضوعا يتناوله الجميع.

إنها تذكر أنها بعد أن غادرت "فورث يورث" تلاقت مع إنسانة فضولية في إحدى الصيدليات، استطاعت في أقل من شهر ليس فقط معرفة نوع الشامبو الذي تستخدمه إنما أيضا أنها تراسل أهلها كل يوم اثنين بانتظام.

استطرد "تانير":

www.elromancia.com

- وبالمناسبة لا تتعجبي إذا قلت لك إنني أعلم عنك بعض الأمور التي لن تشكي فيها. إنك في الليل ترتدين قميصا من القطن به خطوط وردية محتشما... لكنني أعلم أيضا أنك تتضايقين منه أحيانا فتخلعينه وتكتفين بالغطاء.

هنا استشاطت غضبا إذ رأت أنه قد تجاوز حدوده.

قالت بلهجة باردة:

- وأنا أيضا أعلم عنك الكثير لكن حتى الآن لم يؤكد لي أحد أنك إنسان قذر تتدخل فيما لا يعنيك.

- حقا؟ لقد فاجأتني، أعتقد أنهم اتهموني بكل خطايا الأرض - أود أن أخبرك بأنني لم أذهب لأتجسس عليك من خلف النافذة.. أيضا منذ أن رأيتك أول مرة وأنا أتساءل: إذا ما كان لون شعرك طبيعيا.. وللتأكد يكفي أن..

قاطعته بقولها:

- هل لديك شيء آخر لا تعرفه عني؟

وبابتسامة ماكرة أفحمها:

- أمهليني قليلا! وربما أترك خيالي يطوف حتى...

- كفى يا "تانير"!

- كان عمرك تسع عشرة سنة عندما تزوجت هذا الصبي "چوني". بطلنا كان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما وكان قد أنهى دراسته في القانون ويتطلع لمستقبل سياسي مثل والده..

توقف قليلا عن الكلام وحك ذقنه مفكرا ليستكمل حديثه:

- ولم يمر أكثر من سبعة شهور على زواجكما حتى بدا "چوني"

اللطيف متهورا وغرق في بحيرة وارتطم بصخرة تسببت له في كسر عنقه.

لقد جددت كلماته هذه عند "چوان" الأحزان والآلام والإحساس بالوحدة التي ليس من أحد أو من شيء يخففها، أما هو فظل يتابع:

- وأعلم جيدا أن يديه هي آخر ما لمستك يا "چوان".

واستمر في إعلان ما يعرف بنبرات مجردة من الشفقة.

- ومادام "چوني" كان قديسا، فإنه لم يستطع.... ومن الممكن اعتبارك عذراء، إذ إنك تماثلين فتاة صغيرة عاقلة.

قالت بلهجة جافة:

- كف عن حديثك عن "چوني" يا "تانير" أرجوك كف وإلا..

ثم أغمضت عينيها وتوقفت عن الكلام.

فشجعها بقوله:

- هيا يا "چوان" ولو مرة فرجي عما في قلبك، قولي ما عندك، واجهيني بأني لا أستحق أن أتفوه باسم "چوني". أعلميني أنني لست سوى شيطان سيكون مصيره جهنم وبئس المصير عقابا على تفوهي بكلمات سيئة على زوجك الملاك.

وبصوت مرتجف قالت:

- "چوني" لم يكن ملاكا ولا قديسا أيضا، لقد كان ببساطة أفضل رجل عرفته.

فاستطرد "تانير" بنفس الابتسامة:

- آه مسكين "ديف"، آه لو أنك أعطيته فرصة لأصبح الثاني إلى الأبد في قلبك وإن كان لا يعادل الخيال الذي أحببته.

www.elromancia.com

- إن "ديف" لا يقيس نفسه باحد، ولا يحاول ان يفعل هذا إنه نزيه واذكى من أن يتعرض بالحديث عن شخص ميت.

- أتظنين انك تعرفين "ديف" معرفة جيدة. اليس كذلك؟ حسنا. اتركك لأحلامك.

ثم هم بالانصراف قائلا لها:

- إلى اللقاء.

- "تانير"...

أجابها وهو على عتبة الباب.

- نعم!

- لك الآن نصف ساعة قضيتها في التهكم علي، لكنك ... لن تذهب وتنشر ما قلته.. أليس كذلك؟

- آه بالنسبة لانجذابك لـ"ديف"، اعلمي انه لا يدري أن كل بنات المنطقة تحلم به.. الديك شيء آخر؟

تمتمت وهي ترخي أصابعها من على المكتب:

- نعم! كيف عرفت لون قميصي؟

ابتسم ثم قال:

- إنها "بولا" التي قالت لي.

- "بولا"؟ انا لا أعرف واحدة بهذا الاسم.

- إنها بائعة في محل "بيتي" لقد أرادت يوما ما أن تبيع لك قميصا أبيض بخطوط وردية، وانت شرحت لها انه لا يناسبك.

أجابت وقد تملكها الغيظ:

- والآن.. كل المدينة على علم بذلك؟ إنها حقا سخافة!

- اطمئني ليست كل المدينة.. يخيل لي أن "بولا" نسيت هذه القصة في الحال. غاية ما في الأمر انني قابلتها نفس الليلة ودار حديثنا حول المحامية الصغيرة اللطيفة التي نزحت إلى "ديكتون".

وقبل أن يخرج اضاف:

- اعلمي هذا جيدا: إن "ديف" لن يكون لك. يا للخسارة حقا، كان في وسعه إسعادك، وكنت ستحتلين مكانة كبيرة في "اشيلون". ولكنه ليس لك. لو شئت تفهم الأمور ومعرفة لماذا؟ ابقي على العشاء.

ثم خرج تاركا "جوان" ممزقة بين الغيظ وحب الاستطلاع.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

في طريقها إلى مزرعة "اشيلون" كانت سيارة "چوان" الـ"فولفو" تثير سحابة من الاتربة البيضاء.

اليوم قررت الاستاذة ان تجرب حظها في حياتها العملية، وهكذا. إذا قدرها "چو" هذا الرجل المسن لاصبح هذا بمثابة كسب وشهرة لها، لان رجال الاعمال وغيرهم في هذه المدينة سيتعاملون معها.

اما إذا اعلن انه لن يحبها، فما عليها إلا ان تضع كتبها في المكتبة وتعيش من المال الذي تركه لها زوجها "چوني"، إذ إن الخبر سوف ينتشر في المدينة: "چو" لم يقتنع بالمحامية الشابة "چوان"، وحتى التي يمكن استثناؤها "سيرافينا رودال" ستمتنع عن التعامل معها.

لا وقت الآن للقلق لان سيارة "چوان" منذ بضعة كيلو مترات وهي

تسير بجانب السور الذي يسيج على مملكة "ماكليستر"، اخيرا لمحت مدخل المبنى الذي يعلوه كلمة "اشيلون" بحروف كبيرة سوداء واضحة وكان للمبنى طراز ارستقراطي.

ظلت "چوان" تواصل قيادة سيارتها ببطء طوال الممر المبلط المؤدي إلى المنزل الرئيسي المحاط هو ايضا بسور خشبي ابيض. وما هي إلا مسافة خمسمائة متر حتى لمحت - من على بعد- حوالي عشرة رجال.. انتصب احدهم فعرفته.. إنه "تانير" في الچينز القديم يتصبب منه العرق، وجلده اصبح برنزيا من شدة حرارة شمس شهر يونيو.

من يصدق انه اكتشف وجودها من بعيد هكذا؟ وعند وصولها حياها رافعا سبابته إلى جبهته مع ابتسامة عريضة، وبعد ان تجاوزته تعمدت الا تنظر في مرآة السيارة حتى لا يتشتت تفكيرها في هذا اليوم من حياتها.

وعندما ظهر المسكن المرتفع ذو النوافذ الخضراء والمحاط بحديقة منسقة بعناية طردت "چوان" "تانيرويست" من ذهنها .

كانت "جلينا" قد اوعزت إليها الا ترن على الباب الرئيسي لأنه مدخل الحاكم نفسه والمؤدي إلى المزرعة.

ادخلت "چوان" سيارتها في چراج خاص وأخذت ملفاتها وخرجت من السيارة قاصدة المنزل.

من الجانب الآخر لمحت حمام السباحة الذي كانت قد اعلمتها به "جلينا" فيما مضى كان آل "ماكليستر" يستقبلون كبار الشخصيات من فناني السينما إلى زعماء السياسة، ولقد تناقصت هذه اللقاءات منذ ان اصيب "چو" بازمة قلبية، لكن مازال كل حجر وكل شجرة تحمل هذه

www.elromancia.com

الذكريات. قبل أن تمد يدها إلى الجرس كانت سيدة قصيرة القامة ممتلئة قد أتت لتفتح لها. "فينا تيز" خادمة "ماكليستر" كانت تتردد على نفس الكنيسة التي تصلي فيها "چوان" ولقد تسامرا في عدة مناسبات. أما اليوم فانحناءة رأس صغيرة من كل منهما أظهرت أن كلا منهما تعرف الأخرى، وتقدمتها السيدة "تيز" حتى تريها الطريق وقالت:

- السيد "ماكليستر" ينتظرك في مكتبه.

اجتازت "چوان" طابقا ثم صالونا كبيرا يطل على حمام السباحة، ثم في آخر أحد الممرات وجدت نفسها في مكتب السيد "چو" الموجود في مؤخرة الرواق وقبل أن تنصرف قالت الخادمة بصوت عال يكاد يكون صراخا:

- إنها هنا!

مكثت المحامية الشابة بمفردها في الحجرة. لم تكن تعلم أن هذا الرجل يقتني مجموعة كتب قديمة مهمة جدا وقفت مذهولة أمام عدد الأرفف الذي يغطي الحوائط. من الأرض إلى السقف رأت صفوف المجلدات تملأ المكان. أما النافذة فكان عليها ستائر ثقيلة وكان المكتب مغطى بالنباتات. أخيرا خلف منضدة من خشب الأكاجو - رأت هذا الذي أتت هنا من أجله جالسا على مقعد متحرك وكان يصرخ في التليفون.

مازال "چون چوزيف ماكليستر" يتمتع بقوام منتصب، وكان شعره الأبيض كالثلج يتعارض مع سواد حاجبيه. بعد أن صاح ببعض الشتائم وضع سماعة التليفون وقال موجها حديثه لـ"چوان":

- اسمعي ما اقترح عليك يا آنسة "اندريسون": إن زوجة ابن عمي

توفيت ولا أرغب في أن تتمتع بناتها اللاتي لا يفكرن إلا في الاستفادة من أموالي. أنا الآن أصبحت في حالة ثراء أكبر من ذلك اليوم الذي كتبت فيه وصيتي، لذلك أريد الآن إعطاء الكثير للعاملين معي المخلصين، كما أني أريد إلغاء بعض الأشخاص من الوصية.

قال هذا وأخرج من درج مكتبه ظرفا أصفر، وأضاف وهو يمد يده لها بالظرف:

- كل شيء مذكور هنا يا آنستي. اجلسي حتى أعلمك بكل رغباتي الجديدة.

لقد أعجبت "چوان" بهذا الرجل إذ وجدت فيه شخصا مدققا سريعا لا يريد ضياع الوقت مع من صفاتهم التردد. كانت "چوان" تحب ذلك.

جلست وبدأت العمل، وفي أقل من ساعة كانا قد أكملا تحرير الوصية.

ثم سألته:

- أتريد تركها هكذا؟

- لماذا؟ أتجدين فيها شيئا مازال محتاجا إلى تغيير؟

- النصوص تبدو لي مبهمة مما قد يسبب متاعب لـ"ديف" بعد رحيلك بعد عمر طويل.

- أنا لا أحب سماع "تبدو"، "من الممكن". صححي ما قد يكون محتاجا إلى ذلك. لماذا استدعيتك هنا؟!

تصفح "چو" صفحات نسخته ووجد الفقرة التي تتكلم عنها الأستاذة "چوان" تفحصها لم تتجاوز دقائق، وتساءل:

- لماذا لم أنتبه إلى ذلك؟ لماذا لم يخبرني بها "أموس"؟!

www.elromancia.com

وبنظرة إعجاب وجهها إلى "چوان" استطرد:

- عندما قال لي "تانير" إنك محامية موهوبة ظننته مجنونا، أو ربما يعمل لمصلحته. إنما الآن ينبغي علي أن أعترف أنه على علم يقين بما يقول.

عندئذ رفعت "چوان" عينيها نحو "چو" وكلها دهشة. "تانير" قال له: إنها موهوبة وقديرة؟ إنه مع ذلك لا يحبها. لماذا إذن ساعدها عندما رشحها لتبني وصية "ماكليستر"؟

- وهو مستند إلى ظهر مقعده المتحرك - للمحامية الشابة:

- لقد عمل الرجال الذين يعملون عندي كثيرا وأود أن أشكرهم، كما أن "تانير" وإن لم يكن منتظرا شيئا غير أنه يستحق ما يعود عليه من نفع. إنه لم يقصر أبدا في عمله. لقد بدأ العمل هنا منذ كان صبيا، لم يتغيب يوما واحدا رغم مشقة العمل. ولكن كم من مرة حاولت إبعاده عن أفكاره المتمردة ولكن دون جدوى. كان يفعل كل ما أطالبه به دون أن يشكو.

فهمت "چوان" أن "چو" ينتظر منها تعليقا فقالت:

- أرى أنه يختلف تماما عن "ديف".

أجابها ضاحكا:

- إنهما النهار والليل. انظري في عيني "ديف" تجدي السلام. وانظري في عيني "تانير" تجدي أن نيران جهنم تطل منهما. يخيل لي أن هذا الشاب لن يعثر على الهدوء ذات يوم. من البداية وأنا أراه تارة يعمل مع الآخرين، وتارة أخرى يقرأ كل ما يقع تحت يده أو أحيانا يضرب أحدا ما.. حتى الآن لم أتوصل لفهم شخصيته.

ثم تنهد "چو" من الحيرة واستطرد:

- مع ذلك لم يعتد على أحد بريء، ولم يستضعف من هو أصغر منه أو من هو ليس في مثل قوته. غير أنه عندما يتصارع مع أحد يبدو كمن يرغب في التخلص من ألم داخلي لا يفهمه هو نفسه.

سكت "چو" عن الكلام ثم دعك وجهه بيد مرتجفة، وهي علامة الشيخوخة الوحيدة عنده التي لاحظتها "چوان" ثم انصرف وهو يضحك قائلا لها:

إنني أثرثر لكنني لا أبحث أبدا عن أعذار. أحد مزايا أن تكون عجوزا أو ثريا هو أنه باستطاعتي أن أقول ما يبدو لي جيدا في الوقت الذي يكتفي فيه الآخرون بالصمت والاستماع.

أبعد الكرسي المتحرك عن المكتب ثم أضاف:

- إنها ساعة راحتي. أمامك يومان لعمل هذه التعديلات.

ثم اختفى مصحوبا بصوت الموتور الكهربائي. وظلت "چوان" مثبتة نظرها على الباب المفتوح قبل أن تضع الأوراق في حقيبتها، ثم نهضت، ومنذ أن خرجت إلى الدهليز أدركت فجأة أنها قد كسبت اليوم واعتبرته يوم النصر بالنسبة لها: قريبا ستعرف المدينة كلها أن "چو" زبونها.

وما لم تتممه في عامين من العمل أنجزته في ساعة مع هذا الرجل.. كانت عصبية جدا عند دخولها مع "فينا" إلى مكتب "ماكليستر" ومن ثم فهي لا تعرف أي طريق تسلكه من أجل أن تخرج.

- أراك مستغرقة في التفكير!!

هذه الكلمات الصادرة من صوت أجش جعلتها تقفز وتلتفت بشدة. إنه "تانير" واقفا على بعد أمتار ومستندا إلى الحائط ويتفحص "چوان".

www.elromancia.com

فتمتمت من بين اسنانها:

- كان ينبغي أن اتوقع هذا. صباح الخير ! يا "تانير".

على الرغم من القميص الذي يرتديه إلا أن وجود "تانير" في هذا المكان يبدو غير لائق. مع حذائه البالي والمغطى بالتراب واحد كمي قميصه الممزق بدا وكانه عامل يومية اكثر من كونه رئيس عمال في مزرعة "اشيلون". في لحظة التفاتها ظنت "چوان" أن ما راته في عينيه هو وميض من التاثر الذي اختفى سريعا ليترك مكانه لابتسامة ازدراء.

ثم سالها:

- ما رأيك في هذا الغول العجوز؟ ترى هل وجدت الفرصة لمزيد من التعارف؟ اتبقين هنا للعشاء يا "چوان"؟

يبدو واضحا انني عملية اكثر مما تظنه. لقد انهيت عملي بسرعة ولم يدعني أحد للبقاء.

بعد هذه الكلمات المهذبة ابتعدت "چوان" إلا أن صوت "تانير" اوقفها.

- أنت تخطئين ! ليس من هنا!

حاولت السيدة أن تعد إلى عشرة ثم أخذت الاتجاه الآخر.. ولما مرت أمامه سالته فجاة:

- لماذا رشحتني لـ"ماكليستر"؟

- ألا تعلمين؟ عملت هذا لاضايقك.

- إنها فكرة غبية، لأن... لماذا تعمل على مضايقتي؟

- لم اتعلم مع "چو" إدارة المزرعة فقط ولكنه علمني ايضا كيف احرك لعبة الشطرنج بنفسي. لقد اصبحت مدينة لي الآن يا "چوان". يا للسخرية. انت التي كنت لا تقبلين مجرد رؤيتي.

- انت! انت لست سوى شخصية حقيرة يا "تانير". الوداع!

ولما همت بالانصراف أمسك بذراعها قائلا:

- انتظري ! تمهلي ! أريد أن أريك الحديقة وحمام السباحة هنا.

على الرغم من حجج "تانير" قبلت "چوان" النظر من نافذة الصالون، ورات الحمام المحاط بالكراسي والشماسي والزهور. وكانت المياه تبدو تحت أشعة الشمس كقطع الماس المتناثرة. كان المنظر رائعا للغاية.

الآن وقد عرفت انها تستطيع الخروج بمفردها غير انها في لحظة ما همت بالخروج تبينت السبب الذي جذبها "تانير" من أجلها إلى هذا المكان. كان "ديڤ" يسبح في حمام السباحة، ولم يكن وحده إذ إن سيدة ذات شعر ذهبي ترتدي "مايوه" ربما يكون محظورا ارتداؤه في المقاطعة، خرجت من الماء وكانها اختارت هذه اللحظة بالذات.

بدا في عيني "چوان" الاحساس بالرغبة. لم يكن الحسد الفاتن للمراة السابحة ما جذب انتباهها فقط ولكن شدها ايضا موقفها وتعبيراتها والطريقة التي تقف بها وتمشي بها.

فبادرت "چوان" "تانير" بقولها:

- حصلت على ما كنت تبغيه؟ إنها سيدة جميلة، وانا لست كذلك. هل انت قانع هكذا وإن كان "ديڤ" قد احبها فحسنا. وإني على ثقة بانها إنسانة ممتازة.

فاجابها بنبرة مريبة:

- ممتازة؟ يالها من كلمة تافهة لوصف مثل هذه المخلوقة ! لكن إذا كانت ممتازة فإنك تعرفين ان "ديڤ" لا يرى فيها هذا. عندما يتامل "ديڤ" "ليندا" فإنه يفكر في ممارسة الحب يا "چوان". ممارسة الحب!

www.elromancia.com

- لا.. لا، إنك مخطىء. "ديف" ليس من نوعية هؤلاء الرجال.

- يا للسماء! انظري يا "چوان" إلى الأمور من الوجهة الصحيحة. كل الرجال هكذا. و"ليندا" من نوعية النساء اللاتي يعرفن تماما كيف يجذبن الرجال.

اقترب "تانير" من المحامية خفية. دون أن تلمح اقترابه منها همس في أذنها:

- إنها ذو خبرة في ذلك وليس مثلك يا جميلتي. انظري إليها يا "چوان". إنها نوعية النساء اللاتي يحب "ديف" الانجذاب إليه واصطحابهن في رحلات قصيرة إلى "لاس فيجاس". هل تبدو لك نزيهة؟

عندما حاولت "چوان" الابتعاد أحاطها "تانير" بذراعه واضطرمت من تأثير ذراعه ثم أدركت حينذاك أنه قريب منها ومن ثم فهي لا تستطيع التفكير بشكل طبيعي. همس في أذنها:

- "ديف" رجل كامل، لكنه ينجذب لـ"ليندا"، وإلى الآن لم يتعلم الكذب ولا العنف.

التصقت "چوان" بالحائط حتى تبتعد عنه وتجعل بينها وبينه بضعة سنتيمترات.

وبنبرة هادئة استطردت:

- سجلت نقطة لصالحك. ولماذا حملت نفسك هذا العناء؟

هز كتفيه مجيبا:

- لأننا أصدقاء من المفترض أن يتعاون الأصدقاء. ونحن أصدقاء.. أليس كذلك يا "چوان"؟ أنت تفقدين وقتك في الأحلام الواهية. حقا في استطاعتك تغيير تسريحتك وملابسك وحتى طريقة كلامك لكنك لن

تشبهي "ليندا" في سحرها. إن تصرفاتها تنبع من داخلها.

ظلت "چوان" متسمرة لحظة إزاء كلام "تانير". ثم تمكنت من تخليص نفسها وتراجعت وهي تضبط بلوزتها. ودون أن تنظر إليه قالت:

- ليس من المستحيل أن أشبهها، غاية ما في الأمر أنني أعرف حدودي.

- حقا؟ أشك في هذا يا عزيزتي! إن في استطاعتك إشعال نار في غابة. لا ينقصك إلا بعض الدروس. أتريدين أن أعطيك دروسا في هذا يا "چوان"؟

تجاهلت "چوان" هذه الكلمات، وهمت بالانصراف لكنها استدارت مرة أخرى. رغما عنها - نحو "تانير" وتاملته بفضول واشمئزاز في نفس الوقت.

- لماذا تعمل كل هذا يا "تانير"؟ لماذا تحاول دائما إثارتي؟

- من يدري؟ ربما أكون أنا نمط الرجل الذي يسعى دائما بتخطي الحدود بعض الشيء.

استطاعت "چوان" في هذه المرة أن تبتعد. لكنها ارتابت في ألا يكون قد انتهى "تانير" من كلامه معها. ما إن وصلت إلى السلم إلا وسمعته يقول لها:

- أو ربما أكون مثل "ديف" مشدودا لمن هي على النقيض مني. ربما كوني الخارج على القانون الذي امثله أنا هنا وكونك القضائية الطيبة التي تجسدينها أنت هو الشيء الأكثر حيرة.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

قالت "جلينا" وقد شجاها النغم.

- إنه تخت رائع !

ذهبت "چوان" وصديقتها "جلينا" لتناول العشاء في مطعم "لاس تريس هيرماناس" الجديد حيث تقابل سكان المدينة كلها تقريبا. إن افتتاح مثل هذا المطعم في مدينة صغيرة مثل "ديكتون" أمر مهم جدا مثل وصول السيرك إليها.

- إنه تخت رائع!

قالت "جلينا" وقد شجاها النغم.

اعترضت "چوان" وهي ترتشف الشاي المثلج:

- حقا ! لكني أرى انه كان على المالك أن يفكر قبل تنفيذ مشروع كهذا.

إن مدينة "ديكتون" ليست كبيرة لدرجة تسمح بإضافة مطعم مكسيكي ثالث.

- لا تنسي انه من "دالاس". في "دالاس" الناس لا يعرفون الفاصوليا السوداء المهروسة حتى ولو كانت ساخنة.

بينما كانت المرأتان تتذوقان نوع حلوى لم تتوصلا إلى معرفة مكوناته، لمحت "جلينا" مجموعة صغيرة تدخل المطعم.

فاستفسرت عندما رأت فتاة شقراء رائعة تدخل مع "ديف" و"تانير" :

- من هذه الفتاة؟

أجابتها "چوان" بفتور:

- إنها تدعى "ليندا".

لكني لا أعرف لقبها.

- فتاة مثل هذه ليست محتاجة إلى لقب. إنها تبدو وكأنها تخرج من مجلة أزياء. ترى هل هي مع "تانير"؟ أرجوك لا تقولي إنها معه!

- إنها صديقة "ديف"، لقد شاهدتها الأسبوع الماضي في "أشيلون" عندما كنت هناك لمقابلة "چو".

وهنا صاحت "جلينا":

- انظري كيف تسير؟ انظري تسريحتها.. يا إلهي ماذا تفعل بشعرها حتى تبدو.. غنية؟ انظري .. كيف...

قاطعتها "چوان" وقد نفد صبرها:

- كفي يا "جلينا" ألم تعلمك والدتك أبدا ألا تتفرسي هكذا في الناس؟

تنهدت "جلينا" واستطردت:

- لم أر مثلها قبل ذلك في "ديكتون"... إنها....

www.elromancia.com

قاطعتها "چوان" بنبرة جافة:

- فاتنة!

- نعم هذا ما أريد قوله. أنت على حق. فاتنة!

قالت "چوان" بضيق:

- حسنا! هل انتهيت من التامل فيها؟ بالنسبة لي أنا لست على استعداد للبقاء هنا طويلا.

- دعيني أولا اذهب إلى الحمام حتى أمر أمام مائدتهم، لأتمكن من رؤية هذه المخلوقة عن قرب. إني اكرهها يا "چوان" إنها تجلس على نفس مائدة "تانير" وتبدو النساء بجانبها مثل الكومبارس. يجدر بها ان تعود من حيث اتت وتترك لنا رجالنا.

وها "جلينا" تبتعد، و"چوان" تبقى بمفردها محاولة تثبيت نظرها على القبعة المكسيكية الكبيرة المعلقة على الحائط المواجه لها حتى لا تبدو وكانها تراقب المائدة التي تضم "تانير" و"ليندا" الفاتنة إذ لم تشا ان تتذكر أن...

- يبدو انك بمفردك هذا المساء!

لما حاولت "چوان" الالتفات ببطء وجدت "تانير" واقفا إلى جانبها مبتسما. كان يرتدي بنطلون چينز نظيفا وقميصا ابيض جديدا، وعلى غير المعتاد كان حذاؤه نظيفا لامعا وشعره منسقا.

لقد كانت هذه هي اول مرة تراه فيها منذ ان تقابلا عند "چو" ، ولكن لسوء الحظ منذ ذلك اليوم لم تقدر "چوان" تجاهل وجود "تانير".

بعد أن انتهت من العمل الذي كلفها به "ماكليستر"، لم يبد هذا الأخير اي نقد ناحيتها. لقد أعلمتها "جلينا" أن هذا معناه أنها حصلت على

درجة جيدة مع مثل هذا الرجل.

لذلك إذا ما حازت على النجاح الذي تتمناه في عملها وترى مكتبها تتزاحم عليه الزبائن فهي قطعا ستنسب هذا الفضل لـ"تانير".

تركت افكارها، وحيته بقولها:

- صباح الخير يا "تانير"!

دون أن يتخلى عن ابتسامته اخذ كرسيا واداره باتجاهها قبل أن يجلس عليه ثم أجابها ساخرا:

- صباح الخير يا "چوان". لقد كنت مارا من هنا فتراءى لي أن اسالك عن حالتك: ترى هل مزاجك فاتر أم في حالة غليان. أم..؟

ولما قذفته بنظرة قاسية اكمل:

- لا! بالتاكيد ثلجي!

- تتصور!! انني في الحالة المزاجية التي تعجبني.

- بل المفروض ان تكوني كما يريد الآخرون، إذ إنهم لم يتركوا لك الاختيار. لا تقولي لي: إنه عندما كنت فتاة صغيرة تم اخضاعك لقائمة من السلوكيات. ولقد اخترت كلمة الكبت للتنفيذ.

اجابته محتجة:

- لست مكبوتة! انا ببساطة لست واضحة مع كل الناس.

- إذا كنت تظنين أن "ديڤ" سيجاهد حتى يرى أعماقك فإنك قد غرقت في الأوهام لابد أولا أن تربتي بيدك على رأسه لجذب انتباهه.

وباطراف اصابعه امسك بذقنه، واخذ يرمق محدثته بنظرات مثيرة اكثر ما يمكن أن تكون ثم قال:

- لماذا لم تصارحي شخصا قادرا على تقدير محاسنك الخفية؟ مثلا

"بود ارنولد" الطيب، أو إذا كنت تفضلين ذوي الشعر الكثيف فليكن "چيري نون بويد". لقد طلق زوجته وها هو يبحث عن زوجة شابة تبادله الحب وتسعده..

- إنك تضايقني يا "تانير".

نهض حينذاك وأعاد مقعده إلى مكانه وأضاف بإبتسامة ساخرة:

- ثم بالتأكيد يوجد أنا، ايضا إنني أعشق التحدي.

ظل "تانير" ينظر إليها فترة طويلة وحاول الإمساك بأصابع يدها التي تقبض على حافظة الأوراق. ثم أطلق ضحكات عالية وابتعد.

وبعد ساعة وقد ولجت إلى منزلها القت "چوان" - فور دخولها - بحقيبتها وقد تملكها الغيظ.. توجهت إلى المرآة وتفحصت وجهها جيدا عن قرب ثم تراجعت لتعود مرة أخرى لتنظر إلى وجهها من كل جانب، إن شعرها الكستنائي المرفوع في شكل قصة "شنيون" تتساقط منه بعض الخصلات، وفستانها الأزرق يظهر نحافة قوامها. خلاصة الأمر انها لم تر في مظهرها شيئا منفرا، بل بالعكس رأته جذابا.

إنها تبدو - عموما - مقبولة وجذابة. يمكن لأي شخص موضوعي أن يرى جمالها بلا أي مبالغة منه.

ابتعدت عن المرآة واستلقت على السرير بالعرض: إن هذا الـ"تانير" على حق. إنها تتمتع بكل ما لفتاة صغيرة عاقلة جميلة مهذبة.

في اليوم التالي بدأت "چوان" فترة اكتئاب، إذ إنها طوال الأسبوع استمرت في ارتداء ملابس ذات ألوان قاتمة، واستخدام قليل من البودرة في وجهها. وفي ذات يوم عندما دخلت "جلينا" المكتب ووجدتها هكذا وشعرها في شنيون منخفض، من فرط دهشتها اهتزت يدها

بالقهوة.

وفي يوم الجمعة التالي حدث لـ"چوان" شيء أدهشها تماما عندما كانت تتصفح فواتير الكهرباء التي لـ"سيرافينا رودال" .. وفجأة توقفت عن العمل، ذقنها مستند إلى يديها وأخذت تتأمل صورة "چوني"، واسترسلت في الذكريات: لقد كان والداها ثريين، وكانت هي الابنة الوحيدة لهما كما كانت تتمتع بصحة جيدة، وأيضا كانت موهوبة للعلم.. أحبت "چوني" الذي كان يناسبها تماما، ولما انهت دراستها في القانون كانت مرشحة للعمل في شركة استثمارية كبيرة.

لقد نالت كل ما كانت تتمناه. إنها لم تجبر أبدا على الدخول في صراع للحصول على شيء ما. إنها لم تلجأ أبدا إلى حزمها ومهارتها لبلوغ مأربها على الرغم من تمتعها بهاتين الموهبتين. كانت رأسها إلى الخلف وعيناها مثبتتين على السقف عندما اتخذت قرارها:

.. لقد حان الوقت لتعرف من هي وعلى أي شيء هي قادرة.

صعد "تانير" الدرجات الخشبية الثلاث بهدوء وفتح الباب، وبدلا من أن يدخل التفت ووقف يشاهد المنظر الريفي الجميل. كان يفكر هو أيضا في حياته: إنه يسكن منزلا صغيرا جدا في آخر سراي "ماكليستر"، ومن قبل كانت إقامته في حجرة خلف المطبخ للمنزل الرئيسي. كان يحتاج إلى شهرين تقريبا ليقنع الرجل العجوز بانه أصبح ناضجا الآن حتى يعيش بمفرده، ووصل إلى ما كان يصبو إليه. يبدو "تانير" أحيانا عنيدا مثل "چو" عندما يستدعي الأمر.

وها هو اليوم له تسع عشرة سنة في هذا المكان الذي يحبه كثيرا. إنه يحب الوحدة، الحياة بدون قيود والحرية وأيضا هذا المنظر الريفي

الخلاب الذي يهبه إحساسا بالسلام والانشراح.

لكن كل هذه الأحاسيس اختفت لتحل محلها مشاعر التمرد في هذه الليلة.

بعد فترة ترك منظر الخضرة وأغلق الباب وخلع قميصه ملقيا به على الأرض، ونام. كان اليوم طويلا وحارا والليل أيضا كان خانقا.

نزلت "چوان" من سيارتها، وألقت نظرة على المنزل الصغير ثم بتنهدات عميقة سارت بضعة أمتار وصعدت الدرجات الخشبية الثلاث.. توقفت بضع ثوان مترددة قبل أن تعتزم القرع على الباب.. من العتبة رأت الداخل مظلما ... مظلما وساكنا وفارغا أيضا، "تانير" غير موجود بمنزله.

لقد كانت تخشى هذه الزيارة التي ظلت خلال ساعتين تجمع كل شجاعتها للقيام بها، وها "تانير" غير موجود بمنزله! استندت إلى مقبض الباب فوجدته قد فتح لتجد نفسها في الداخل بدلا من أن ترحل ناحية سيارتها..

ليس من طبعها التجسس على الآخرين لكنها لم تستطع مقاومة الفرصة التي سنحت لها بتفقد منزل ذئب "ديكتون" العازب.لمحت أن هذا المنزل مكون من قاعة واحدة كبيرة بها المطبخ وحجرة الطعام وحجرة النوم تفصلهما حواجز زجاجية من غير ستائر.. كان ضوء القمر ينير المكان الذي كان يبدو مثل مستودع الحاجيات: ملابس على المقاعد، وعلى الأرض. صحف تملأ الأريكة وأيضا المنضدة المنخفضة.. السرير غير مرتب والغطاء يتساقط وكان يدا قد دفعته.. ومجموعة كتب على المنضدة الصغيرة إلى جانب السرير، فدفعها فضولها إلى الاقتراب

حتى تعلم: أي نوع من الكتب يجذب "تانير ويست"؟

فجأة فزعت لأنها شعرت بوجود "تانير".. في هذه اللحظة أمسكها "تانير" من خصرها وألقاها على السرير.

اطلقت "چوان" صرخة مرعبة، وتخبطت - غريزيا - عندما احست بجسد الرجل يسقط على جسدها. بدأ قلبها ينبض من الخوف. أخيرا، كان "تانير" موجودا بمنزله.

همس بصوت أجش في أذنها:

- أتشعرين بالوحدة يا "چوان"؟ هل لديك ما يكفيك من أحلامك الواهية؟ إنه أنا من ارغب في قضاء هذه السهرة بمفردي.. هذا التغيير يثبت أنك لا تعرفين حقيقة نفسك.

- لا تأت بتصرفات غبية.. لقد أتيت هنا لكي..

- احكي لي عن رغباتك وأنا أحققها لك.. وكلما كان يحاول التقرب منها كانت تنهاه قائلة:

- ابتعد يا "تانير".

ولما حاول ملاطفتها ولم يجد منها استجابة بادرها بقوله:

- الأفضل أن تنصرفي يا "چوان"، أنا لا أبغي أن أكدرك، فقط دعيني أسرد لك قائمة أسماء وما عليك إلا أن توقفيني عندما أصل إلى اسم هذا الذي يعجبك أكثر.

تمتمت "چوان" بانفعال وهي تنهض من على السرير وتضبط هندامها:

- لقد أخطأت! إذ كان ينبغي أن أفهم ذلك قبل الآن، علما بأني على يقين أنه ليس من الصواب ولا الحكمة أن آتي إلى هنا، وهأنا على الرغم

www.elromancia.com

من ذلك قد اتيت. لماذا قد ارتكبت هذا السخف؟! إني لمتعجبة!!

اضيئ قنديل السرير فجاة واعماها لحظة. عندما اعتادت عيناها على الضوء تجنبت "جوان" النظر إلى جانب "تانير" ثم مسحت الحجرة بنظرها ووجدتها نظيفة وإن كانت غير مرتبة. لاحظت ايضا بدا المكان منسقا مع اثاثه ولكنه يفتقد إلى شيء. إنه يفتقد إلى شخصية "تانير". خالية من التابلوهات او الصور، كما انه لا يوجد بها نباتات تعطيها لمسة حياة.

بتنهيدة بطيئة وعميقة ابعدت "جوان" نظرها عن "تانير". كان يقف على يمينها وإلى خلفها قليلا. إنها لا تراه ولكنها تشعر بوجوده.

ادارت راسها - وهي تعض على شفتها السفلى بعصبية - والقت نظرة محذرة في اتجاهه.

لم يكن عاريا تماما. كان يرتدي بنطلونه الجينز الشاحب فقط. تجنبت "جوان" النظر إليه ورفعت راسها لتجد "تانير" يوشك ان يتاملها.

قال:

- حسنا، اللهو غير مقبول. لكن هناك شيء ما يخبرني انك لم تقطعي كل هذا الطريق لتسلي رجلا متعبا. ماذا جاءبك إذن؟

قالت "جوان" التي ظلت غير قادرة على تجاهله على الرغم من المجهودات التي تبذلها:

- ارتد قميصك.

قال وهو ينفذ ما طلبت:

- في الحال؟ هكذا افضل إذن؟ لكنني اخشى الا يمكنني ان ابدو

محتشما في هذه الامسية. لماذا اتيت إلى هنا إذن؟

فاجابته وقد جمعت كل شجاعتها وهي تقترب من الباب:

- حاول ان تنسى مجيئي إلى هنا! لان الامر ليس ذا اهمية. اسفة جدا لإزعاجك!

اجابها:

- عجبا لك. تاتين إلى منزلي فجاة وتفسدين امسية هادئة وبعد ذلك تطالبيني بان اتصرف كما لو لم يحدث شيء .

استند على الباب الذي ظل مفتوحا وعقد ذراعيه .

- حتى الآن لم ترضي فضولي. لك العجب، لكِ عامان وانت تتجنبين رؤيتي وإذا ما تواجدنا معا تحاولين التخلص مني، وحتى حديثي معك كنت لا تتقبلينه.. لماذا غيرت رايك فجاة هذا المساء؟!

وقد تملكها الضيق استطردت دون ان تنظر إليه :

- اتعدني الا تضايقني؟

قال مازحا:

- لا، انا لا اعد بشيء. لان من دواعي سروري ان اقوم بمضايقتك.

ومازلت اكرر: لماذا اتيت إلى هنا يا "جوان"؟

تراجعت "جوان" عدة خطوات باحتراس.

- لقد ... لقد حاولت - قدر استطاعتي - ان اتجاهل اغلبية الأشياء التي اخبرتني بها لانها - عموما - اشياء غبية ولانك كنت سعيدا بمضايقتي. لكن على الرغم من ذلك فهناك شيء واحد من بين ما قلته لي اؤمن به.

- شيء واحد؟ اظنني افضل مخادع.

www.elromancia.com

- أعتقد انه إذا كان باستطاعة أحد أن يعلمني كيف أكون...

توقف الكلام في حلقها ثم استطردت:

- إذا كان باستطاعة أحد أن يعلمني كيف أكون جذابة فهو انت. الآن فقط يمكنك أن تضحك إذا أردت .

لم تكن لـ"تانير" الرغبة في الضحك أو الابتسام. اغلق الباب ببطء واقترب من النافذة القريبة من السرير.

- تريدين أن...

توقف عن الكلام من تلقاء نفسه وهو غير قادر على تكرار ما قالته .

قالت "چوان" بلهجة جافة:

- اذكرك بانه انت من عرض علي ذلك. ساسخر من نفسي إذا كنت قد فعلت هذا لمجرد أن تضايقني. كل ما رايته امامي هو انك الوحيد القادر على تعليمي. هذا هو سبب تواجدي هنا: لقد اتيت لتعلمني كيف اجذب "ديف".

ما إنه لم يرد عليها واصلت حديثها:

- لابد ان تكون قانعا الآن لانك تاكد من صحة رايك بشاني فيما عدا ما اسميته الكبت لانه كان عن جهل فقط. لم اشعر ابدا بالحاجة إلى جذب انتباه اي رجل لانني احببت "چوني" . منذ طفولتي وانا اعرف انني كنت ساتزوجه. لم اجرب إذن الـ... المغامرات العاطفية المعتادة للمراهقين. لقد احسستها مؤخرا دون شك لكنني لست بلهاء. يمكنني أن اتعلم شريطة ان توافق على مساعدتي.

قال لها بجفاء دون أن يبعد عينيه عن النافذة:

- لا. اقرئي كتبا او تلقي دروسا في ذلك او خالطي من لديهن خبرة.

افعلي ما يحلو لك لكن لا تفكري بي.

قالت "چوان" برقة:

- اتفقنا. إنها حرب. ما المقابل الذي تطلبه إذن؟

استدار "تانير" - عند سماعه هذا السؤال - نحوها بدهشة.

- تريدين ان أعلمك كيف تصبحين امراة وتنوين دفع الثمن؟

تقدم نحو المراة الشابة وهو يبتسم.

- إنك تحيرني يا عزيزتي. سافكر بالأمر . إنك تذكرينني بقصة صديق اصطحبه والده إلى فتاة ليل في سن السادسة عشرة. كان يطمح ان تعلمه المراة كيف يصبح رجلا. الاقتراب مدهش، اليس كذلك؟

تفرسته "چوان" في صمت وهي مدركة انه يحاول - عن عمد - أن يضايقها لكنها ظلت مفتونة رغما عنها من الإغراء الواضح الذي يشع منه في اثناء مواصلته الاقتراب منها.

تراجعت - غريزيا - خطوة إلى الوراء قبل ان تقول:

- إنني لا اقصد من وراء كلامي انك... أن...

قال مقترحا حينما لم يعد يفصل بين جسديهما إلا بعض السنتيمترات:

- إنه يمكن شراؤك بكل سهولة؟ هذا ما رغبت أن تقوليه يا عزيزتي. إنك محقة. يمكن شراء الإنسان في بعض الظروف.

- "تانير"، هذا خبث. أريد ببساطة أن اقول...

توقفت "چوان" من تلقاء نفسها عن مواصلة الحديث عندما اصطدمت بالباب المغلق. تشابكت نظرات "تانير" بعد لحظة بنظراتها ثم فك الابزيم الذي يحتفظ بشعرها على رقبتها. لم تفعل "چوان" أي شيء

www.elromancia.com

لتوقفه وقد تقطعت انفاسها من فرط الدهشة، لكنها اكتفت بالنظر في عينيه بينما مرر أصابعه في شعرها ليطلقه.

قال هامسا:

- أوه! نعم. ينبغي علي أن أفكر في الأمر بجدية.

حاول "تانير" أن يغتصبها حتى تثور عليه كما كانت تفعل ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، فبدلا من أن يغتصبها ترك اثر يده على "چوان" اثرا مختلفا تماما.

عندما أطلق شعرها أحست أن جزءاً آخر منها تحرر في نفس الوقت. جزء خفي لا تدري ما هو حتى الآن.

هذا الرجل يمثل خطرا على "چوان". إنها لا تحب "تانير" ولا يبدو لها ضروريا أن تحبه. لقد حددت هدفها، وهذا الرجل مجرد وسيلة للوصول إلي هدفها. إنه سيعلمها كيف تجذب الرجال. حينذاك فقط تستطيع المرأة الشابة إغراء "ديف" ثم تكون الأسرة التي تاملها.

لم تفكر - حتى ولو لمرة واحدة - أن "تانير" قادر على عزف بعض الأوتار التي لم يستطع أي شخص لمسها ابدا. اي شخص ... حتى "چوني".

قال "تانير" فجاة قبل أن يتراجع بضع خطوات إلى الوراء:

- اتفقنا.

- هل اعتذر لك؟

- لقد قلت لك: اتفقنا. سأعلمك كيف تستخدمين مواهبك الطبيعية ولن أطالبك باي شيء في المقابل.

همست "چوان" بصوت متردد:

- أوه...

هذا بالضبط ما كانت ترغبه "چوان" ولهذا اتت إلى هنا. لكن هذا

التغيير المفاجئ جعلها مرتابة.

سالته حينذاك:

- لماذا؟ ما الفائدة التي ستعود عليك؟ ما المقابل الذي ستطلبه مني؟

لم يرد "تانير" مباشرة. أحست "چوان" في الظلام بنظراته المصوبة عليها وشعرت فجاة - بالعصبية. طالت فترة الصمت ثم نزلت عليها كلماته كالصاعقة:

- روحك.

ارتعد قلب "چوان" ثم ادركت انه يبتسم برقة قبل أن يقول :

- لابد عليك أن تعرفي ما يدور براسك.

- عجيب جدا.

- نعم، إنه عجيب جدا يا عزيزتي. إنك مثل نصف المدينة تعتقدين انني وقعت معاهدة مع الشيطان. اعتقدت حينذاك انه من الأفضل أن أعطيك بعض ما تتوقعينه.

هذا الرجل لا يطاق ! إذا كان على "چوان" أن تعاشره بصفه منتظمة فإنها ستصبح مجنونة، غير إنها مجازفة لابد منها. لقد اختارت ولن تعدل عن اختيارها. لقد حصلت على ما جاءت من اجله.

سالته متحيرة:

- ما سبب قبولك مساعدتي؟

- لانني بصراحة أريد "ليندا"، ففي حالة وصولك إلى "ديف" اكون انا قد فزت بـ"ليندا" وكما يقال اكون قد ضربت عصفورين بحجر. في هذه الحالة يا جميلتي يكون كلانا قد قدم خدمة للآخر . اليس كذلك؟!

الفصل الرابع

وذات يوم سبت في صيف عادي كانت السماء صافية، والشمس تسطع باشعتها الذهبية اللامعة على البحيرة التي تنزلق عليها المراكب الشراعية والمركبات ذات المحركات تاركة خلفها الأمواج في منظر بديع.. جلست الصديقتان "چوان" و"جلينا" في ظل شجرة كبيرة تراقبان بنتي أخت "جلينا" في لهوهما على شاطئ البحيرة.

كانت "چوان" ممددة مغمضة العينين، وسرحت بفكرها قليلا: لقد اقسمت أن تذهب لرؤية "تانير" وها هي قد نفذت ذلك .. ولماذا؟ لتطلب منه أن يعلمها كيف تجذب رجلا .

- أستحلفك بالله يا "چوان" ماذا بك؟

فتحت عينيها لتجد "جلينا" وقد بدا عليها القلق، فجلست قائلة:

- المعذرة يا "جلينا". هل تكلمت؟

- أكرر نفس السؤال منذ الصباح وكانك لا تسمعين، وأراك تئنين وتتمتمين بكلمات غير واضحة وغير مفهومة. إني أجدك في حالة عجيبة في هذه اللحظة . ترى قضيت فترة طويلة مساء امس في مراجعة فواتير الأنسة "رودال"؟

دفعت "چوان" نملة كادت تقرصهاوبنظرة مترددة قالت:

- أ أستطيع ان أسالك شيئا؟

فاجابتها وهي تهز راسها:

- لا! ستحمليني مراجعة هذه الفواتير وهذا النوع من الحسابات يسبب لي صداعا نصفيا.

استطردت "چوان" وهي تسند جبهتها بيدها :

- انسي قليلا الأنسة "رودال" أرجوك. أريد أن أسالك سؤالا خارج العمل، سؤالا افتراضيا. لنفترض انك معجبة برجل..

فقاطعتها:

- هذا سؤال ليس افتراضيا يا عزيزتي! اين الافتراض في هذا؟ إنني أعجب بعشرات الرجال...

- لنتخيل إذن انه لا يوجد سوى رجل واحد، وانت تعيشين بمفردك لأنك تفضلين انتظار.. مقابلة الرجل المثالي هذا الذي سيكون ابا لأولادك.

- وهل في افتراضك هذا يجب علي حقا ان اكون اما؟ وعن كم من الأولاد نتكلم؟ وهل ساكون اما صالحة؟

فصاحت "چوان" ثائرة:

www.elromancia.com

- اصمتي ودعيني اكمل سؤالي.. سلمنا جدلا انك وجدت الرجل المثالي، ماذا يحدث لولم يجدك هو؟ اريد ان أوضح لك اكثر لو كان هذا الإعجاب والاهتمام من طرف واحد اي من ناحيتك وحدك؟

- أولا.. انا لا احلم بالرجل الذي تتكلمين عنه هذا الذي سيكون أبا. اما في حالة حدوث شيء عجيب ربما كنت الاحقه واجعله يتربع على عرش قلبي وأعمل كل ما في وسعي لأجعله يحبني بدوره.

لقد ازدادت "چوان" ألما وتنهدت بشدة:

- لماذا إذن الجأ إليك؟

- لأن الصغيرتين في الماء الآن وانا الوحيدة التي لديها استعداد لسماعك.. لكن! ما هذا ؟ مركب يقترب منا ومن به؟

صاحت "چوان" معترضة:

- آه! يا إلهي! لا! انا في الحقيقة لا اريد رؤية "ليندا" اليوم ولا "پولا" واقل منهما "تانير".

- "تانير" ليس معهم، انا لا أرى إلا "ديف" وهذه الصغيرة اللوبية، إنهما يصوبان انظارهما نحونا! اعملي لهم إشارة بيدك يا "چوان".

جلست المحامية الشابة الأستاذة "چوان" وهي تخفي عينيها بيدها، وها هي قد لمحت شراع المركب الذي يشق البحيرة على بعد خمسين مترا من الشاطئ، لقد لمحت "ديف" في "شورت" أبيض و"تي شيرت" أزرق.. إن له طريقة سير رائعة.. ولما اشار بيده للسيدتين للتحية ردت عليه "چوان" بالمثل.

اما "ليندا" فلم تحاول الالتفات أو الإشارة للتحية، لأن كل شغلها الشاغل هو كعادتها لفت أنظار الرجال إليها. وكانت ترتدي "مايوه"

يثير الرغبة في نفس أي رجل.

اما "چوان" فكانت ترتدي "شورت" بلون كاكي و"تي شيرت" بلون ليمون. لقد اكتشفت فجاة انه زي متواضع في مظهره. كان شعرها ايضا مربوطا ببساطة بشريط وردي على هيئة ذيل حصان لا يوجد به اي إثارة.

ولما نهضت قالت لـ"جلينا": إني ذاهبة لشراء مجلة. هل انت في حاجة إلى اي شيء؟

- نعم، احضري لي "شطائر" وشوكولاتة.. لماذا تنظرين لي هكذا؟ اعندك تعليق على طريقة أكلي؟ انت عندما تكتئبين اراك وقد ازددت نشاطا. اما انا فاشغل نفسي بالاكل..

وبعدما ابتعدت "چوان" نادتها واضافت:

- وايضا "لبان" بدون سكر من فضلك!

وفي طريقها إلى المطعم فكرت "چوان": "شورت" كاكي!! يا للهزء باللسخف... لكن ليس المطلوب هو المظهر لانها حتى لو ارتدت "مايوه" "ليندا" المقور فهذا لن يغير من شخصيتها. لكن المفروض ان تكون الجاذبية نابعة من الداخل. هكذا كان قد افهمها "تانير".

كانت ومازالت محتفظة بذكريات حبها لـ"چوني" إذ كان حبهما نابعا من القلب غير مرتبط بالمظاهر الحسية. ولقد كانت تشعر وهي بين ذراعيه بالأمان كانت هذه طريقة مختلفة للتعبير عن حبهما. نار موحشة... لابد ان "تانير" راى فيها ناراً موحشة. ومن ثم لابد على "چوان" ان تعرف ما يدور بداخلها. إنها لم تشعر - ولو مرة واحدة - باي إحساس يشبه هذه الحرارة الشديدة.

www.elromancia.com

ولما تجاوزت المطعم دخلت محل ماكولات مكيفا، واحست بالراحة بسبب الهواء المكيف. ووجدت فيه اشياء اخرى للبيع بالإضافة إلى الماكولات.. كريمات .. معطر.. طارد للناموس.. ملصقات .. نظارات شمس، وكلها بأسعار زهيدة.

وعندما توجهت لشراء المجلة شدت انتباهها مجموعة مجلات "احدث ازياء الصيف"، كيف تحتفظين بحب رجل..؟ وفي المنزل"، "ماذا يرغب الرجال؟، نتائج بحث". وتصفحت بعضا منها وبينما هي مهتمة بمقال خاص بالعمل والبطالة دخلت "ليندا" بصحبة "ديف" إلى المحل.

تنهدت المحامية الشابة وحاولت إخفاء وجهها في الجريدة، إذ رأت ان ملابسها ومظهرها يتعارض تماما مع ما تبدو عليه "ليندا" الشقراء الجذابة.

- كنت متوقعا انه انت.

خفضت "چوان" جريدتها لترى "ديف" واقفا على بعد متر منها وهو يبتسم لها. تلك الابتسامة التي توحي بان هذه المرأة هي احدى ملذات الحياة. إنها نفس الابتسامة التي وجهها إلي زوجة العمدة و"جلينا" واول غريب يقابله في الشارع.

أجابته "چوان" قائلة:

- صباح الخير.. لكن أين صديقتك؟

اشار "ديف" براسه تجاه دورة المياه.

ثم تفرس فيها وقال بنبرة هادئة:

- لقد اصبح لون انفك ورديا يا "چوان" احذري التعرض الكثير للشمس.. لماذا لا ترافقيننا في رحلة على ظهر مركب؟ عندي كريم للفحة

الشمس، وايضا من الطعام ما يكفي لإشباع جماعة إذا كنتِ جائعة .. الآنسة "تيز" أعدت لنا تورتة لذيذة بالشوكولاتة.

- شكرا جزيلا. لكني مع "جلينا" ومعنا بنتا اختها الصغيرتان وعلينا أن نلاحظهما.. لا اعتقد أن..

- "ديف"!

جاء هذا الصوت الطفولي ليشد انتباه "چوان". إنها "ليندا" واقفة أمام المحل: ورأسها مائل على الجنب، ويبدو عدم الصبر على شفتيها.

قال "ديف" وهو يشير بحركة من يده إلى المحامية الشابة:

- إلى لقاء قريب يا "چوان".

ثم انصرف هو و"ليندا".

ولما اقتربت من المكان الذي تنتظرها فيه "جلينا" كان لمنظر الطفلتين في الماء وضحكاتهما البريئة وقبلاتهما الطاهرة - أثر البلسم على قلبها.

تنهدت بعمق. يالله هذا هو حقا ما تتمنى، كانت تريد أطفالا تهدهدهم .. ثم تقص عليهم القصص الخيالية.. وتهبهم كل الحب. هذا الحب الذي لا يصلح لأحد والذي يتوهج في داخلها وترغب في تقديمه للآخرين.

مسحت دموعها بيدها ورفعت رأسها وتابعت طريقها، وعندما وصلت وجدت الفتاتين نائمتين تحت الشجرة و"جلينا" مغمضة العينين بجوارهما.

بلمسة قدم حاولت "چوان" إيقاظ "جلينا". فزعت هذه الأخيرة:

- ماذا؟ ماذا؟ ماذا بك؟

www.elromancia.com

فاجابتها "چوان" قبل ان تروح وتغدو بحركة عصبية امام صديقتها الدهشة:

- قصي لي شعري! اريد ان اقص شعري. إني في احتياج إلى تغيير جذري. اريد تغيير مظهري وان ابدو الفتاة الامريكية كما كنت.

سالتها "چلينا" متحيرة:

- ماذا حدث لك؟ هل لدغتك حشرة؟ اين الاكل والشرب؟.. هل تناولت شرابا؟

اجابتها "چوان" وهي تستند إلى جذع الشجرة:

- لم اشرب اي شيء. غاية ما في الامر انني اود تغيير شكلي. إنني ساتدبر امري بنفسي مهما كلفني هذا.

ستذهب "چوان" إلى "تانير" لتلقي الدرس الأول في الحب.

لما وصلت جلست على درجات السلم، ذقنها بين يديها، على الرغم من قميصه تماما إلا انه كان مرتديا ملابسه باكملها وما هي إلا لحظات حتى رات "تانير" على الطريق المؤدي إلى الحظائر. عندما راها توقف دهشا امام المراة الشابة ثم فتح الباب لها:

- هانت قد اتيت. ظننتك مازلت تفكرين، وان كل شيء في اعتقادك هو غلطة.

اجابته بنبرة جافة:

- شكرا!

اغلق الباب وراءها، وعندما لاحظ تغيير مظهرها قال:

- رائع! اخيرا تركت لشعرك الحرية.

وبسرعة نزع مشطا صغيرا كانت تثبت به شعرها من الجانب الأيمن

ليترك خصلة تنزل وتغطي عينها اليمنى.

ثم استطرد:

- الآن انت امراة عصرية.. عملية... جذابة.

قالت "چوان" وهي تكاد تخفي اللهجة الساخرة في صوتها:

- إنني سعيدة جدا لتقديرك هذا. كنت اتساءل طول النهار إذا كان سيعجبك.

- انا مسؤول عن مشروعنا يا "چوان"، وما عليك إلا ان تحترمي ما اقوله وإن لم اكن قد احببت لما بدات هذا..

- إذن قل لي من اين ابدا؟

- من هنا بالضبط ابدئي بطريقة كلامك. اسمعيني انت صريحة جدا تقولين ما تضمرين، حاولي إخفاء بعض ما عندك.. قليل من الغموض لتعطي الرجل فرصة ان يكتشف ما قد تخفينه لأن الرجل بطبعه فضولي، وايضا يحب ان يكون اقوى من المراة.

اجابت معترضة:

- لكن ليس لدي اي شيء من الممكن اكتشافه. هل سادعي اشياء ليست في؟ لا يمكنني ادعاء ماليس بي.

- ينقصك ايضا قليل من عزة النفس. هذا ما يبدو لي، تعالي اجلسي هنا.

واشار إلى الأريكة بعد ان رفع من عليها اكوام الجرائد.

واستطرد:

- افردي ذراعيك.. لأنك عندما تشبكين يديك او ذراعيك.. تظهرين وكانك تاخذين موقفا دفاعيا،لكن بالعكس كلما كنت منبسطة يكون لك

www.elromancia.com

مظهر من تدعو الرجل الذي تريده اي انك ترحبين به.

بلهجة ثائرة قالت:

- ليس لك إلا انتقاد كل حركاتي؟!

- إنه عملي! لكن أولا لابد أن تعلمي انني لن اعلمك كيف تكونين مغرية.

- لكنك قلت...

- انتظري يا "چوان". قلت لك منذ البداية انك تمتلكين بداخلك كل ما تحتاجينه. الأمر ببساطة انك لا تعرفين كيف تستفيدين من كل ما يحيط بك.

مال نحوها وهو يبتسم.

- هذا بالضبط ما سافعله وساظهرلك ما يوجد بداخلك ثم اعلمك كيف تستخدمينه.

سالته "چوان" بلهجة مرتابة:

- ألن يصعب علي التظاهر بذلك؟

- إنه يعادل نشوة الحب يا عزيزتي. إنني لم اقابل امراة صريحة مثلك أبدا.

تنهدت "چوان" قبل أن تقول:

- هذا صحيح. إنني لم اتظاهر أبدا. ينبغي علي اذن أن...

توقفت "چوان" من تلقاء نفسها عن مواصلة الحديث. إنها تعود مرة أخرى إلى لغة الصراحة وهذا ما اضحك "تانير".

- إنك لا تعتنين بعد بكلماتك. هذا ما أحاول أن أخبرك به. في كل مرة تخرجين عما يوجد بداخلك تاتي البقية من تلقاء نفسها.

استدارت "چوان" إليه والقت نظرة دهشة وفضول. وعندما أتت إلى "تانير" في هذا المساء لم تدرك أبدا ما ينتظرها. لكن مع ذلك ينبغي عليها أن تعترف انه يجهز - إلى حد ما - إلى درسهما الأول.

استطردت "چوان":

- اتفقنا.

أكد البريق الذي رأته في عينيه القلق الشديد الذي تشعربه "چوان".

قال "تانير":

- سنبدأ كل شيء برقة. سنعمل على ردود أفعالك إزاء رجل في موقف عادي. سنؤدي بعض تمرينات الاسترخاء. لكن لابد عليك أولا أن تتعلمي كيف تتعرفين علي. ينبغي أن تعتادي على الاحتفاظ بي بالقرب منك.

عندما داعب خصلة شعرها الساقطة على خدها توترت "چوان" بشكل غريزي.

قال "تانير":

- أترين؟

لم يتغير صوته . بقت المراة الشابة متاثرة بلمسة يده. ثم سالته بصوت مضطرب:

- ماذا أرى؟

- رايتي كيف تاثرت في لحظتها. لابد أن تتخلصي من رد الفعل هذا باسرع ما يمكن. ينبغي ان تسترخي مع نفسك.

سالته وهي تبتعد لتمنعه من اللعب بشعرها:

- لماذا استرخي مع نفسي؟ إنه "ديڤ" الذي..

www.elromancia.com

قال "تانير" فجاة بصوت شبه قاس.

- انس "ديف" الآن. إنه لا يهمنا في هذه اللحظة. ما يهمنا هو انت. ولن يمكنني أن أعلمك شيئا إذا لم تثقي بي تماما.

- مفهوم. يبدو هذا منطقيا.

- حسنا. استرخي مع نفسك إذن وسنعمل على اقتحام نفسك بخبرات جديدة.

كررت "چوان" فجاة بقلق:

- خبرات جديدة...؟

- نعم - لاحظت انك تفكرين دائما قبل ان تتحدثي او تتصرفي وهذا يكبح إجاباتك الطبيعية. لابد ان تشعري بالراحة مع نفسك قبل ان تستجيبي لأي رد فعل غريزي.

- وحينذاك... يحتمل أن ينتهي الأمر بنا إلى ان نمارس الحب معا فترة طويلة.

اطلقت "چوان" صرخة فزع ونهضت ثم قالت:

- إنك... كان لابد ان ارتاب في ذلك. إنك وغد خسيس تنتهز الفرصة ! إنني اكرهك. فلتذهب إلي الجحيم!

في اقصى لحظات غضبها خرجت "چوان" من عنده وقد سمعته يقول بلهجة دهشة:

- قولي لي : هل حققت نجاحات مقدسة قبل الآن؟!

###

بعد أن استعرضت كل قنوات التليفزيون اختارت "چوان" إحداها وجلست على الأريكة. ثنت ساقيها وغطتهما بقميص نومها.

إنها - على اية حال - في حالة مزاجية لا تسمح لها بإعداد وجبة طيبة أمام التليفزيون ومن ثم فلم يهمها كثيرا ما يحدث على شاشته.

تذكرت المرأة الشابة - في تنهيدة مخجلة فشل الليلة الماضية في منزل "تانير" الذي تركها متحيرة ومضطربة. لما كانت غير راضية عن درسهما الأول كانت "چوان" تعرف انه لا يمكنها ان تحقق اي تقدم بدون مساعدة هذا الرجل.

لكن النار ستصبح من نصيب الشخص غير المبالي قبل ان تعطي فرصة جديدة لـ"تانير ويست" لكي يسخر منها! لا تستطيع "وان" بدا أن تثق به. سيظل "تانير" الشخص الخارج عن القانون. إنه يكسر - طوال حياته - كل القواعد وبعض الانوف وكثيراً من القلوب. الأحمق فقط هو من يذهب لطلب المساعدة منه.

فكرت "چوان" في ضرورة ان تحصل على وسيلة اخرى. ربما ينبغي عليها أن تتحرى عن أعمال "ديف" ... وتعرض عليه خدماتها. حينذاك يمكنها ان تؤثر عليه بـ... بإرادتها الحرة.

لا . إنها فكرة حمقاء.

يجدر بها أن تتفرس مجلات الموضة حتى تجد لنفسها ملابس تناسب تسريحتها الجديدة. إنها لن تفعل اي شيء بعينه خوفا من اتهام الآخرين لها. كان "تانير" محقا في هذا الجانب. لكن شراء بعض الملابس الجيدة لن يسيء إليها. في اجازة الأسبوع المقبل ستذهب "چوان" في جولة شرائية بـ"دالاس" و...

في هذه اللحظة ارجفتها ضجة في حجرة نومها. يبدو كانه صوت نافذة تغلق... أو تفتح.

www.elromancia.com

زادت ضربات قلبها والقت المراة الشابة نظرة هائمة من حولها ثم قفزت من على الأريكة وامسكت قطا برنزيا كانت قد اهدته لها "فلورا" عمة "چوني". اجتازت في صمت الدهليز على اطراف قدميها ودفعت باب حجرتها بلا اي ضجة.

أمسكت القط من ذيله ورفعته ببطء في مستوى عينيها واضاءت زر النور.

إزاء المشهد الذي راته حينذاك ظلت "چوان" دهشة لحظة.

كان "تانير" يوشك ان ينزل من على النافذة وهو يدير ظهره لها.

- أنت... إنك وقح ! هل هناك سبب يدفعك لعدم الدخول من الباب كما هو معتاد من الجميع؟ هل عاودتك غرائزك الإجرامية القديمة بالمصادفة؟

أجابها "تانير" وهو يستدير إليها:

- "چوان" ، إنك فاجاتني.

ثم نظر إلى المراة الشابة بدءا من ساقيها مرورا بصدرها حتى شعرها المشعث.

- أعترف أن رأيي بشان قميص نومك القطني كان خاطئا بالفعل.

بدا صوته الأجش والعميق إلى "چوان" مغريا جدا كما هي عادته.

وضعت القط على المنضدة وزفرت ثم نظرت إلى عيني المتطفل.

همست بصوت معسول:

- "تانير"، لماذا اتيت إلى حجرتي عبر النافذة؟

- أعرف ماسيقولونه في "ديكتون" إذا حكيت عن الطريقة التي دخلت بها عندك. لكنني أعلم ايضا إنك لن تفعلي شيئا يا جميلتي؟ اتيت

لرؤيتك لانك تغيبت حصتين عن مدرسك. واقر انني سالت نفسي عما إذا كنت قد تفوهت ببعض الكلام الجارح. أعرف كم انت حساسة ولا أريدك أن تظني في اي سوء.

قالت "چوان" ساخرة:

- اوه! إنني متيقنة ان الندم قد اضطرمك. كنت مدركا تماما انني لن اعود لتصرفك بهذه الطريقة. لقد فعلت هذا عن عمد. لقد اتيت لطلب مساعدتك وانت...

قاطعها بجفاء:

- وانا عرضت عليك مساعدتي بكل جدية.

بدا "تانير" - بعد هذه الكلمات - يتجول في الحجرة وتفحص بنظره عالم "چوان". أمسك وسادة مغطاة بالدانتيلا البيضاء وحملها إلي انفه ثم قال:

- أعرف هذا العطر. أحسه في كل مرة اقابلك فيها. ما نوعه؟

انتزعت "چوان" الوسادة منه والقتها على السرير.

- إنك حقير يا "تانير". لكن لا تظن انني اتيت إليك لتعلم فقدان الصبر. لقد تعلمت السيطرة على نفسي. بعد مضي عامين من استقراري في نفس المدينة التي تسكنها كل ما افهمه الآن هو انه يستحيل التفاهم بيننا. إنني نادمة على ذهابي إليك. هذا كل ما في الأمر.

- جبانة.

اعترضت "چوان":

- لست جبانة.

www.elromancia.com

- بلى، جبانة. أدركت ذلك منذ البداية.

- الشجاعة ليست لها صلة بما طلبته منك.

- كلا يا "چوان". هل لديك من الشجاعة لمواصلة ما تريدينه؟ إن السؤال الصحيح هو عدم معرفة إذا كان "ديف" يجسد - حقيقة - ما ترغبينه؟ إذا لم تكوني عازمة على تحملي بعض الوقت حتى تضعي يدك عليه فإنه لا يمثل أي أهمية بالنسبة لك.

همست "چوان" من بين أسنانها:

- "تانير"، لقد ذهبت إلى بعيد جدا.

انفرجت شفتا "تانير" عن ابتسامة وقحة أعطت المرأة الشابة الرغبة في صفعه.

- لا تنس أن "ليندا" مازالت معه. ولديها من الحرارة التي تكفي لإذابة جبل من الثلج على بعد خمسين مترا. كيف يمكنني أن أجرب أي شيء معها إذا تراجعت الآن؟

- إنها ليست مشكلتي.

قال وهو يقترب من المرأة الشابة:

- أعتقد أن "ديف" بدأ يمل منها. لقد حان الوقت لكي تتصرفي.. قبل أن يبحث عن صيد جديد.

سألت "چوان" والدهشة تكسو وجهها:

- إذا كانت لم تستطع أن تفتن "ديف" فلماذا ترغبها بعده؟

- لدي متطلبات مختلفة.. هذا كل ما في الأمر.

- و... أتعتقد حقا أنه مل منها؟

- لقد أتى إلى العمل في هذا الصباح تاركا "ليندا" الجميلة بمفردها

بالقرب من حمام السباحة. كان لابد أن تشاهدي المايوه الذي كانت ترتديه اليوم. "ترتديه" كلمة كبيرة.

فكرت "چوان" في أن "تانير" محق دون شك. إذا كانت "ليندا" بقيت اليوم كله بمفردها فمن السهل أن تستخلص أن "ديف" أحسن صنعا. نعم، ربما الآن...

- أتعدني بألا تدلي باي ملحوظات بذيئة؟

أجابها "تانير" بضحكة مكبوتة:

- متأسف يا جميلتي، لا يمكنني أن أعدك بهذا. فهمك للظلام مختلف عن فهمي. من ناحية أخرى يمكنني أن أقسم لك بأنني لن أعرض عليك ممارسة الحب معي. أهذا يطمئنك؟

فركت "چوان" يديها غير مصدقة ما قاله. لكنها تريد "ديف".

قالت أخيرا:

- اتفقنا. لابد وأنني مجنونة لكنني أوافق.

توجه "تانير" نحو النافذة وهو يبتسم ابتسامة رضا.

قال وهو يفتح النافذة:

- كنت أعرف أنك ستستجيبين في النهاية لنداء العقل.

بعد أن أغلقت النافذة خلفه وراته يقفز على الجانب الآخر من السياج برشاقة جلست "چوان" على حافة النافذة وأغمضت عينيها. ثم هزت رأسها ببطء.

لقد وافقت في النهاية على تفويض أمرها هذا إلى "تانير ويست"، فلتساعدها السماء.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

ثم بعد فترة صمت أردف "تانير" :

- لننتقل الآن إلى أشياء أكثر جدية.

جلست "چوان" على الأريكة، وكانت ترتدي بنطلونا ابيض وبلوزة بلون الخوخ واخذت تنظر إليه بعصبية. لقد كانت تقضي كل اوقات فراغها في هذه الأيام الأخيرة محاولة - على الرغم من أن تعبير "راحتها معه" كان يستحيل تقريبا استخدامه في ظل وجود شخص مثل "تانير ويست" معها إلا أن المرأة الشابة لم تعد تغضب في كل مرة تراه فيها. إنها مع ذلك لا تستطيع أن تدعي انها تحبه وتشك في مقدرة احد على ذلك. - أن تاخذ راحتها معه.

لقد كانت ترى أحيانا في عينيه عنفا، وكانه مستعد للصراخ لاتفه

سبب، وأحيانا كثيرة كان يعمل على إضحاكها. كانت نظرته للمجتمع غير موضوعية وغير أدبية، و"چوان" لم تتردد في مشاركته نفس الراي.

قالت "چوان" مستفسرة عندما ارغمها "تانير" على الاعتدال على الأريكة:

- ننتقل إلى أشياء مهمة؟ يخيل إلي انني استعد للاختبارات الأوليمبية.

- هل سالتك عن رأيك الآن ؟ اغمضي عينيك!

سالته بارتياب:

- ماذا ستفعل؟ إذا ما حاولت مضايقتي فسوف..

- أغمضي عينيك!

أغلقت جفونها قائلة:

- أنا لا اثق بك - لا اثق بك ولا بدرهم يا "تانير ويست".

بعد لحظة فوجئت بشيء ناعم على وجهها فاقشعرت من الدهشة.

كرر "تانير" عندما داعب الملمس الناعم خدها:

- لقد قلت لك: لا تفتحي عينيك!

- ما هذا؟ "إيشارب" حرير؟

- ليست هذه لعبة الفوازير. ركزي ليكن كل اهتمامك في الإحساس وليس في المعرفة. عليك الآن أن تكون لك حواس يقظة: اللمس، التذوق، الشم. واللمس هو أهمها.

تساءلت: هل بعد تسع سنوات استطاع "إيشارب" بسيط أن يحرك أحاسيسها؟ بينما كانت "چوان" تستمع إليه وهو يتكلم شعرت أن العقد التي بداخلها بدأت تنقشع، بل إن جسمها بدأ يتفاعل مع الملمس الناعم.

www.elromancia.com

- أريد أن تشعري بأقل لمسة.

قالت "چوان" في نفسها: الآن قد شعرت وكان لصوته عذوبة مختلطة بنعومة الحرير حتى استحال عليها أن تعرف أيهما قد أثر فيها.

استطرد:

- سيصبح جسدك حساسا لأي ملمس خفيف. ستشعرين أن الدم يجري في عروقك. عندما تجتازين حجرة فستشعرين بالهواء يداعبك مثل تأثير من تحبين عليك. لكنك لن تكتفي بتلقي هذه المشاعر ولن تتركيها تتلاشى بالطبع. بل ستمنحين نفسك إياها وتتفاعلين معها.

ثبتت "چوان" - في تنهيدة تعبر عن إحساس بالرضا - نفسها على الأريكة وسحرتها في أن واحد النبرة الحارة لـ"تانير" والاحساس بمداعبة الحرير لجسدها.

لكن ما إن بدأت تموج في الصمت اللذيذ سمعت المرأة الشابة من خلفها الصوت الحاد لـ"تانير" وهو يقول:

- هائل! رائع! أعتقد أنك الآن قد فهمت ماذا أنتظر منك.

رمشت بعينيها واعتدلت فجأة وقالت بصوت أجش:

- شيء عجيب! كنت لا أرى في "الإيشارب" الحرير سوى مظهره. والآن أشعر بلمسته أنها تلاطفني..

فقاطعها قائلا:

- بالضبط! لننتقل إلى شيء آخر الآن.

سألته متكاسلة تحت تأثير إحساسها:

- إلى أي شيء؟

- إلى طريقتك في النظر إلى الرجل.

بدأت تتكدر، فاستجوبته:

- وأي سوء ترى في نظرتي للرجال؟

- أنا لم أقل الرجال يا "چوان" أقول رجلا. إنك تنظرين إلى كل الناس بنفس الطريقة بدون تمييز. ليس في عينيك نظرات جذابة. هذا يناسب الأستاذة "أندريسون" عندما تترافع في المحكمة. ولكن الأمر يختلف إذا ما أردت أن تجذب رجلا.

اقتنعت الفتاة في داخلها بما قاله هذا الألعبان.

واستمر "تانير" في تلقينها الدرس.

- الآن اذهبي عند النافذة. أما أنا فسأبدأ من الباب، سنمشي كلانا في اتجاه الآخر وكأننا تقابلنا في الشارع.

وضعت يديها خلف ظهرها بعصبية ووقفت عند النافذة.

- تقدمي الآن. وعندما اقترب منك تفرسي في، افحصي هندامي ومظهري.

- ساطيعك وإن كنت اشعر اني غبية.

ونفذت أوامره. وبدأت تتفرسه من قدميه حتى شعر رأسه

- حسنا جدا! الآن تكلمي في أي موضوع عن المطر، عن الطقس الجميل، قولي أي شيء.. المهم تكلمي.. قولي شيئا عجيبا.. نوادر.. واضعة يدك على ذراعي كمن تريد أن تشد انتباهي وتدعوني لمبادلتها الحديث لكن في داخلك تدعوني لمشاركتك في أكثر من شد الانتباه،وايضا دعي نظراتك تلتقي بنظراتي التي من المفترض أنها تأثرت بذلك.

لقد كانت "چوان" تخشى لقاء النظرات، ولكنها قالت في نفسها:

ساهرب بما لي من شخصية.. واخذت تحكي نكتة عن الرجل المسن "بيترسون" ولمست ذراعه وكان عليها ان تترك نظرها مثبتا على نظره للوان.

- هل هذا ما يمكنك فعله يا "چوان"؟ سامحيني على غلطتي في الكلام لكنك تبدين مضطربة تماما. من المفروض أن افهم الرسالة من عينيك وتجعلني اركع على ركبتي وانظر إليك وانا مفعم بالاعجاب... والرغبة.

توجه "تانير" حينذاك نحو السرير والقى بنفسه عليه وهو يشبك يديه خلف راسه.

قالت "چوان":

- إنك مجنون!

- لماذا ؟ تذكري ما كنت تفعلينه انت و"چوني" خلف السيارة او عندما اختفيتما معا في إحدى السهرات لتبقيا بمفردكما عدة دقائق . تذكري الإثارة التي تشعرين بها عندما كان يداعبك.

قالت "چوان" قبل ان تمتنع عن مواصلة حديثها:

- بالمناسبة...

قال "تانير" وهو يبدو غير مصدق:

- أستخبرينني انكما لم تفعلا هذا ابدا؟ انكما لم تتبادلا الحب ابدا خلف سيارة؟ انكما لم تختفيا في إحدى السهرات؟ لا يمكن تصديق هذا حقيقة.

اعترضت المراة الشابة بلهجة جافة:

- هذا ليس من شانك، لكنني كنت قد قررت انا و"چوني" أن ننتظر حتى زواجنا من أجل ممارسة الحب. لقد تجنبا المداعبات الصارخة.

غير معقول ! لم اتخيل ابدا وجود اناس مثلكما وكانني اشاهد مسلسلا في الخمسينات. لا اصدق اذني!

واستلقى على السرير ناظرا إلى السقف، ثم نهض فجاة :

- علينا الآن أن نبدأ من هنا. إنها نقطة مهمة يا "چوان".

لقد نطق بهذه الكلمات بطريقة رشيقة، ولم تكن نبراته شديدة مشتتة كالمعتاد بل انت جادة تماما..

ثم اراد العودة إلى الماضي وان يتكلم عن ايام المراهقة.

فهزت "چوان" راسها قائلة:

- لا يا "تانير" لا اعتقد ان..

- لماذا انت مترددة يا جميلتي؟ هل تريدين "ديف" ؟ نعم أم لا؟

- ليست تلك المشكلة...

- بالتاكيد تريدينه، إننا هنا من اجل ذلك. اليس هذا الأمر هو موضع اهتمامنا؟

- بلى!

قالت هذا وهي تدفع بشعرها إلى الخلف. ثم استطردت:

- لكنني لا اعتقد انها افضل وسيلة لـ..

- تذكري انكِ لستِ هنا للتفكير والاعتقاد والاحتمال.. انتِ هنا لتتعلمي كيف يكون لك مشاعر. وهذا يختلف.

ثم اخذ يدور حولها وهي ترمقه بنظرات قلقة. فكرت "چوان": إنه من الأفضل الآن ان تبتعد او حتى تجري لتجعل المسافة بينها وبينه بضعة كيلو مترات، ولكن حدث شيء ما ليس في استطاعتها تحديده ابقاها في هذا المكان .. اهي نظرته السوداء؟ أم أن هذا نابع منها؟

- جاء الآن دور الاحساس الأسمى من الاحساس بالحرير إنها تجربة ضرورية. تخيلي هذا التمرين البسيط مثل الطريق الضيق نحو الجبل وكل منحنى به مليء بالاشواك يقربك من القمة ومن قلعة احلامك.

مرة اخرى، وقف "تانير" خلف "چوان" ولكنه قريب منها حتى إنها شعرت بانفاسه وحرارة جسده. اغلقت عينيها مع تنهيدة مرتعدة وقاومت - بلا اي امل - جاذبية صوته التي تؤثر فيها تماما.

ثم عاد ليقف خلفها. واردف:

- استرسلي في الخيال يا "چوان". نحن الآن نبلغ السادسة عشرة من عمرنا.. ونقف تحت اشجار حديقتكم.. نافذة حجرتك مفتوحة وصوت الراديو مسموع. هل تسمعينه؟ هل تسمعين الكلمات؟ انا لست محتاجا إلا إلى الهواء لأتنفسه... لست محتاجا إلا إليك!

ثم حوطها بذراعه ودهشت "چوان" عندما وجدت نفسها تتناغم مع إيقاع الموسيقى.

رائع يا "چوان". لقد اثرت فيك الموسيقى، اليس كذلك؟ لقد تناغم جسدانا على نفس الإيقاع.

داعب "تانير" ظهر المراة الشابة برقة ولم تستطع مقاومته.

- أراك الآن تحاولين تجربة الحب، لكن غير قادرة.. في اي لحظة نتوقع خروج والديك والمجيء إلى الحديقة، ومن الممكن ان يشاهدانا.. اتشعرين بضربات قلبك؟ وجودنا هنا خطر لكن لن يمنعك هذا عن التوقف.

وقارب شفتيه من شفتيها محاولا تقبيلها.

لما حاولت التوقف.. قال لها:

- لا تتوقفي يبقى ان الاطفك وان اقبلك. ينبغي ان اتمم الدرس.

رفعت "چوان" - في رغبة عارمة - عينيها نحوه عندما شعرت به يتحرك. كان "تانير" يقف امامها الآن. القت عليه نظرة مضطرمة بينما هو مستمر في جذبها إليه، وجسدهما يتراقصان على نفس الإيقاع.

ثم استطرد وهو يتفرسها:

- ربما تراك واحدة من جاراتك؟ ماذا ستقول عن "چوان" الصغيرة الوديعة وهي تترك صديقها يلاطفها؟ وماذا ستقول ايضا إذا ما رأتك تحترقين شوقا بملامسة صدره.

امسك "تانير" حينذاك يديها وجذبها نحو قميصه المفتوح قبل ان يضعها على صدره العاري.

قال وقد بدات يدا "چوان" تتفحص جذعه:

- هكذا. إنك تعانين لمعرفتك انه لا يمكنك الحصول على اكثر من ذلك، اليس كذلك؟ فكرة ان يراك احد تخيفك لكن هناك شيء اقوى من الخوف، شيء ما يقودك إلى احلامك لأنك تعرفين انني... اقصد صديقك يرغبك بقوة وهذا ما يجعله مجنونا.

اطلقت "چوان" تاوها عندما بدت اصابع "تانير" متمسكة بها.

- تريدين الباقي، والرغبة العارمة تجتاحك لكن لا يمكنك الحصول على كل شيء. ليس هنا. ليس الآن. وهذا بدوره يزيد رغبتك المحتدمة هناك امور تحدث بداخلك تجهلين ماهيتها. اتشعرين بها؟ كل جزء في جسدك يهتز طربا من فرط الرغبة.

ارجعت "چوان" راسها إلى الخلف وافلتت منها بعض التاوهات البسيطة. هذا الرجل جذاب، هذا الرجل مدهش.. لا إنها كلماته

المعسولة فقط التي ينطق بها. لقد اثر فيها هذا الكلام وجعلها ترتعد من داخلها.

استسلمت المراة الشابة المترددة قليلا امام جسد "تانير" وفتحت عينيها. كان يتاملها مثلما تتامله. لكن على عكس رفيقته كانت نظرات الرجل لا تعبر عن أي إحساس. إنه ينتظر.

لم تقرأ "چوان" شيئا في تعبيره الهادئ. ماذا حدث؟ هل بعض الكلمات البسيطة والوصف المؤثر لمشهد الحب استطاع ان يؤثر فيها هكذا؟

قال "تانير":

- بالتاكيد، لا يمكنني تجسيد مشهد الحب الطبيعي. لكنني أعتقد أنه لديك الآن فكرة عن أحاسيس هذا المشهد.

بدا صوته طبيعيا لكن "چوان" لم تستطع أن تتيقن منه. من ناحية أخرى ما الشيء الطبيعي في ما تطلبه منها... فيما يعلمها؟

القى "تانير" - وهو يبتعد عن المراة الشابة - نظرة على ساعته ثم نظرة اهتمام عليها.

- يبدو أنك متعبة. لنتوقف هنا. سنبدأ فيما بعد الدرس اللاحق.

فكرت "چوان" وهي تكتم ضحكة هستيرية: "الدرس اللاحق. لقد طفت - بالكاد - من الحالة الساحرة التي غاصت فيها، ولا تريد أن تفكر فيما قد يحدث في الدرس القادم.

وفي الطريق إلى مسكنها احست "چوان" برجفة داخلية. كانت يداها متقلصتين على عجلة القيادة وكادت لا تصدق انها الآن قد تخطت حدودا كانت في مظهرها غير واضحة لها. لقدوجدت نفسها - بلا

قصد - في موطن غريب.. انه موطن "تانير" ..

أما "تانير" فكان يسير بعصبية في حجرته بعد انصراف "چوان"، وقد اعتراه ارتباك لم يعتده من قبل، كان يعمل الألف خطوة أمام المدفأة، ومن وقت لآخر يضع يده في شعره محاولا طرد الأفكار التي تساوره، لكن دون جدوى.

كانت الوساوس تطارده في هذه الليلة. كان عليه أن ينقض على هذه المراة ويمارس الحب معها. افلتت - حينذاك - ضحكة قوية من حلق "تانير". إنه - الآن - يدفع ثمن حماقته. إنها النار. نار العاطفة والرغبة. فقط لكي يثبت لـ"چوان" ما يمكن أن يفعله.

لكنه أخطأ من البداية، وهو يعرف هذا تماما ومع ذلك لم يستطع أن يكبح جماح رغبته. لقد فقد - دون أن يشعر - السيطرة على النار التي أشعلها. إن النار بداخله الآن وتلهبه ببطء.

وجد نفسه مدفوعا نحو الباب وتخطى الدرجات الثلاث بقفزة واحدة وجرى نحو الإصطبل. فترة من الفروسية سوف تنسيه كل شيء..

سيمتطي "لوكو" الحصان الأكثر جنونا ووحشية في المنطقة، ويلف به في كل مزرعة "ماكليستر"، ولن يتوقف إلا إذا أحس بالهدوء وانطفاء النار التي بداخله من تلقاء نفسها.

بالنسبة لـ"چوان" فقد ظلت هي الأخرى قلقة فترة طويلة من الليل، ولما نظرت إلى الساعة وجدتها الثانية صباحا .

طاردتها الذكريات [illegible]... حتى كادت من كثرتها تفقد القدرة على حصرها.. الآن هي تشعر بهواء المروحة الدافئ. كيف جدد "تانير" فيها

www.elromancia.com

أحاسيسها بكلمات فقط! وقد كانت إنسانة جامدة طوال تسع سنين..

أيضا كيف سمحت لنفسها التواجد بمفردها مع رجل لا تعرفه..؟ و..

كيف استطاع أن يشعل فيها نار الحب؟

جلست "چوان" - وهي تتنهد - على سريرها وغطت وجهها بيديها.

لقد قضت كل تلك الأمسية مع رجل لا تثق به . إنها كانت على وشك أن...

لكن "چوان" لم ترد التفكير فيما كاد أن يحدث. إنها لم ترد تذكر الاضطراب الذي كانت تشعر به حينذاك وهذا الاختلاج اللذيذ لقلبها والمشاعر التي تعرف عليها جسدها لكنها أسكتت نفسها قبل أن تفقد السيطرة على نفسها.

وكل هذا لم يحدث إلا بتاثير كلماته...

لقد اشعل "تانير" - بكلمته - النار الكامنة بداخلها منذ فترة طويلة. تلك النار التي لم ترد أن تراها ابدا. ابدا لأنها تريد فقط أن تنطفئ النار التي تلتهبها الآن وأن يختفي هذا الاحساس الغريب الذي تشعر به ويتركها هادئة.

وبقفزة عنيفة تركت السرير واتجهت إلى النافذة. كم كان منظر الحديقة هادئا جذابا في ضوء القمر! مما أعطاها الرغبة في التنزه في الحديقة واستنشاق نسيم الليل الدافئ وهي ترتدي قميص نومها الشفاف... لكنها شعرت فجاة بهذه الرغبة العارمة التي كانت قد احست بها في منزل "تانير". ماذا حدث لها؟ ما هذا التغيير المفاجئ منذ ان التقت بـ"تانير" كانت تحاول تبديد افكارها بالتمعن في زهور وخضرة الحديقة.. ولكن كل هذا لم يجد.. نظرة واحدة من هذا الرجل الذي لم

تهتم به ابدا بدات تجذبها بغرابة. لماذا؟

ولما يئست من الوصول إلى معرفة السبب حاولت تحويل تفكيرها إلى "ديف" هذا الذي كانت تريده ابا لابنائها. إن هذا الإنسان لن يدفعها - إذا ما تقابلا - إلى محاولة الهروب للتخلص منه خوفا من مشاعره وتوازنه العاطفي.. للاسف لم تتمكن حتى من أن تتذكر لون عينيه.

لقد تضاربت أفكار عديدة عندها إن هذا الاحساس الذي شعرت به عندما داعبها "تانير" بكلماته المعسولة ليس به أي شيء غير عادي.. إنها تعلم جيدا أن أي امراة في "ديكتون" تتمنى "تانير"، كلهن بدون استثناء: الفتيات، الشابات .. المسنات.. المتزوجات.. المطلقات... الأرامل وكانت ترى بنفسها كيف ينظرن إليه لماذا تمثل هي استثناء؟

ثم تنهدت وراسها مستند على يديها

في النهاية اكتشفت أن وضعها بدا ياخذ في التحسن، إذ إنها لم تعد تحيا بلا هدف في الوجود.

إنها لا تستطيع أن تعطي الجاذبية التي احستها نحو "تانير" قدرا كبيرا من الأهمية أكثر مما تحس به. إن عدم معيشتها لمثل هذه التجربة لا يعني أن الأمر غير عادي. هذه النوعية من العاطفة تظهر في كل وقت.

ومع كونها موضع تقدير من المجتمع كإنسانة عاقلة للغاية لها مركزها إلا أنها ايضا إنسانة لها أحاسيسها.. ولماذا تنزعج؟ لقد قررت أن تتجاهل ما طرأ عليها من ارتباك وقد ايقنت أنه أمر طبيعي..

لقد بدا الموقف معقدا لكن "چوان" كانت سعيدة لعثورها على حل له. كانت تعرف أنها ستواجهه وتطوق المشكلة وتحدد لنفسها نمطا من السلوك.

لماذا إذن لا تعود إلى سريرها؟ لماذا تظل جالسة امامه تحك ذقنها بيدها وهي تفكر؟

غاية ما في الأمر أن هناك فكرة تلاحقها. الاختلاف هذا هو الحل! لقد ادركته - فجاة - وهي ترفع راسها. إنها مختلفة. لقد تغيرت "چوان" في خلال عدة ساعات. لقد تعرفت على مشاعر جديدة غير مشاعرها. رغبة أكيدة. حماس. حب الحياة.

لقد كانت تسير طوال التسع سنوات الماضية على وتيرة واحدة.

إن هذه المشاعر الجديدة التي تحس بها دفعتها أخيرا إلى الخروج من القوقعة التي حبست نفسها بها عن عمد لقد انفتحت "چوان" على الحياة.

اقرت "چوان" - بضحكتها البسيطة - أن "تانير" قد نجح في المهمة التي وعدها بها وجعل منها الإنسانة التي وعدها إياها.

الفصل السادس

بينما كانت "چوان" تبحث عن مفاتيح سيارتها في حقيبتها قالت في اتصال تليفوني:

عندي فكرة رائعة.

أجابتها "جلينا" ساخرة:

- وانا بالغريزة اشك في نوعين من الناس: هؤلاء الذين يدعون أن قليلا من الإرادة يكفي للنجاح في الحياة، وأولئك الذين يقولون لي: إن لديهم فكرة رائعة.

تركت "چوان" سماعة التليفون مثبتة بين كتفها واذنها ونظرت في المرآة لتتفحص مظهرها. كانت مرتدية ملابس من قطعتين من الكتان بلون النعناع، وقفاز جلد أبيض في يديها وغطاء رأس متناسقا مع

www.elromancia.com

الباقي، كان هذا هو المظهر المثالي لحضور دعوة غداء مقدمة من جمعية "فن وتاريخ".

لقد كانت قد تلقت هذه الدعوة منذ بضعة اسابيع قبل ان تتلقى المعايير الجوهرية لتغيير وضعها.. معايير؟ ابتسمت في داخلها.. هذا التعبير كان يبدو رقيقا.. لان كل ما ينتمي إلى "تانير" عن قرب او عن بعد لابد ألا يكون رقيقا، لكنها تعتزم الذهاب عنده غدا لدرس جديد سواء كان هذا في صالحها ام لا.

ثم استطردت "جلينا" في التليفون:

- دعيني اسالك بجدية: لماذا لا تاتين معنا إلى النادي؟ إني واثقة ان وجودك لن يشكل اي ضيق لـ"إيندا".

- ربما لن تجد "إيندا" اي ضيق. اما انا فمن الممكن، لاني إذا ما سمعت ملحوظات او تعليقات على طريقة اكلي او تعليقا على العزوبة.. ما علي في هذه الحالة إلا ان اذهب عند امي.

واستطردت "چوان":

- إنها ليست دعوة غداء فقط، إنما الهدف هو انعقاد مؤتمر.. هناك فرصة لمقابلة اشخاص مثقفين.

فصاحت "جلينا":

- مثل "موريس لمسون"؟.. إني لمتعجبة لكِ. كيف استطاعت هذه الـ"إيندا" ان تجذبك إلى هذه المصيدة.. اراه غباء من ناحيتك.

- اسمعي يا "جلينا" إن "إيندا" تمر حاليا بظروف قاسية منذ وفاة زوجها..

فقاطعتها بضحكة ساخرة ثم قالت:

- منذ وفاة "چورچ" و"إيندا" تمرح كفتاة صغيرة مجنونة، الجميع يذهب عندها ليسال عن اخبارها مثلا او للقيام بمشترياتها. والبعض يحضر لها الحلوى واحيانا يذهبون عندها لاصطحابها اينما شاءت.

إن ظروف هذه العجوز تحسنت إلى ثلاثة اضعاف منذ ان اصبحت ارملة. تعقلي يا "چوان" وضعي ما قلته لك في الاعتبار ولا تنساقي لمشاعرك الرقيقة.

فاجابتها المحامية الشابة:

- انت حرة في حكمك على الناس واخذك للامور. اما انا فلا انسى ما كنت عليه بعد وفاة "چوني". لقد كنت..

وهنا رن جرس الباب.

- يبدو انها هي اتمنى لك اسوأ يوم في العالم يا "جلينا".

- اما انا فواثقة بانه سيكون اجمل يوم لاني سامرح واتمتع اكثر منك.

ثم وضعت السماعة تاركة صديقتها متحيرة قليلا وهي تضحك مسرورة.

يوجد نادي المدينة على الحدود الجنوبية لمدينة "ديكتون". عندما وصلت "چوان" وبرفقتها جارتها وجدتا ان قاعة الطعام كادت تمتلئ بالاغنياء. وكما كانت تتوقع وجدت "ديف"، فهي تعلم تماما انه لا يترك مثل هذه الفرصة تفوته وكانت في صحبته صديقته الرائعة الجمال.

لقد اخذت "چوان" مكانها امام منضدة مع صديقتها وبينما ترتشف كوبا من الشاي المثلج كانت تستمع إلى صديقتها التي كانت تكلمها عن محاسن ومساوئ الفلاحة باستمرار.

www.elromancia.com

كانت "چوان" تتعاطف مع هذه السيدة ولكن سرعان ما أصابها الملل من كثرة ثرثرتها.

ثم أحست بعد ذلك بتمتمات تعبر عن الدهشة تملأ المطعم، فالتفتت باحثة بنظرها عما يمكن أن يكون السبب في هذه المفاجأة العامة. ومسحت الحجرة بنظرها ثم ثبتت نظرها على الباب وها هي تكتشف السبب.

إنه "تانير" كان واقفا في الباب يراقب المدعوين برخاوة، وعلى الرغم من الطابع الهادئ الذي كان باديا عليه كانت نظراته مجنونة.

كان يرتدي لهذه المناسبة: "چاكيت" بنيا مع قميص أبيض. ولكن هناك ما يتعارض مع مظهر باقي الرجال الموجودين، إنها كرافتته التي تتدلى حول ياقة قميصه المفتوح. كان أيضا حذاؤه البالي يكمل هذا المظهر.

ترى هل هي تصرفات هو جاء أم روح دعابة سخيفة؟!

لقد ظهر الارتباك على "إيندا" فتمتمت ممسكة بكم "چوان":

- "تانير ويست" ؟أنا لا أصدق عيني، ماذا يفعل هنا؟وحتى لم يترك حصانه خارجا.. يا إلهي.. كانه قد قص شعره.

قالت "چوان" بعصبية:

- لا ! بل يبدو أنه يضمه بشريط من الجلد.

إزاء تعبير الدهشة البادي على وجوه الحاضرين لم تتمالك نفسها من الضحك. شيء لا يصدق. إن "تانير" يبعث حوله جوا مكهربا أينما ذهب.

كانت تعليقات كثيرة تسمع من كل منضدة طول فترة الأكل، فقط

عندما حان وقت تناول الحلو أصبحت المحادثات عادية.. كانت "چوان" تتساءل: هل سيتمكن السيد "ليمسون" من إلقاء حديثه وسط هذا اللغو؟ أو هل سيصل إلى آذان مستمعيه؟

وبعد انتهاء المؤتمر الخاص بالفن البيزنطي وتاثيره على أوروبا انتقل المدعوون إلى الشرفة لتناول القهوة وما هو إلا قليل وقد تكونت مجموعات حول حمام السباحة.

لقد تركت "إيندا" صديقتها لتتحدث مع أخريات من معارفها. لمحت "چوان" "تانير" واقفا بمفرده في آخر حمام السباحة وعندما همت للقائه ارتفع صوت قوي بين الأحاديث التي كانت تملأ المكان من هنا ومن هناك.

- وأحب أن أؤكد لك أن ثروة الرجل العجوز "چو" لا تكفي لإقناع كل سكان "ديكتون" على بقاء "تانير ويست" في مدينتنا.

كانت قوى "چوان" تنهار، وكالباقين القت نظرة دهشة نحو مصدر الصوت: إنه "فيرچيل إمبري" بطل قديم في كرة القدم وصاحب المصنع الوحيد لمعدات الزراعة في "ديكتون".. ولما حاولت زوجته إسكاته بهدوء لأن الجميع يسمعونه. صاح بأعلى صوته:

- إني أسخر منه، من هذا الـ"تانير"، الكل يعلم الحقيقة انه يوجد أناس من الأفضل عدم مخالطتهم .

ثم استطرد:

- كان على "چو" ألا يترك الفرصة لابنه غير الشرعي لاستخدام بطاقة عضويته للحضور هنا..!

وتوقف فجاة عن الكلام.. وشحب لونه عندما ثبت "تانير" نظره عليه ودار ايضا ببصره على مجموعة المدعوين التي كانت تفصل بينهما ، وتقدم بكل هدوء تجاهه، وعندما وصل حيا مدام "إمبري" ثم بحركة تنم عن الاحتقار والسخرية دفع "فيرچيل" بخفة وبساطة في حمام السباحة.

حينئذ صاحت "چوان": نعم إنه هكذا.. لكن كلماتها ذابت وسط الصوت الصاخب التي تبعت هذه الحركة، واسرع الرجال وكانوا يجثون حول الحمام محاولين انتشاله ومع ذلك على الرغم من التعاطف الذي اظهروه نحوه إلا انه كانت في عيونهم نظرات المرح.

في هذه اللحظة التقت نظرات "ديف" المبتسمة بنظرات "چوان" ورفع إبهامه علامة النصر قبل ان يلحق بالباقين حول الحمام.

كانت "چوان" تبحث عن "تانير" بعينيها محاولة إخفاء ابتسامة، ولما لمحته وهو يتامل هذا المشهد بسخرية، اتجهت نحوه ومن المحتمل ان يكون قد لمح شيئا في عيني السيدة الشابة، لان وجهه قد ازداد سمرة.. ثم بضحكة جافة حيا الجمع الذي كان يتجاهله وانصرف دون ان ينظر خلفه.

اخذت "چوان" سيارتها "الفولفو" وكانت تقودها على غير هدى إلى مكان غير محدد. ياله من هدوء نفس نعمت به بعد ان غادرت "ديكتون" وتركت ورا ها كل الشائعات التي اخذت مجراها بخصوص "تانير ويست".

على بعد حوالي ثلاثين كيلو مترا من المدينة دخلت حديقة معزولة عن

المدينة تحوطها اشجار الأرز..

وكم كانت دهشتها عندما رات سيارة "تانير" المتسخة بالوحل في اخر موقف السيارات. وبدون تفكير فيما تعمل اوقفت "چوان" سيارتها إلى جانبها وقبل ان تنزل من السيارة القت نظرة على "تانير": كان جالسا امام منضدة يوزع على العصافير الفتات المتساقط منه.. نزلت وتوجهت نحوه بخطوات تحاول جعلها ثابتة.

فبادرها بقوله:

- هل من المعقول ان اصدق انك تتبعيني؟ ماذا حدث يا "چوان"؟ اما عندك الصبر الكافي لانتظار موعد درسنا هذا المساء؟

ارتبكت قليلا ثم قالت مبتسمة:

- صباح الخير يا "تانير"... الجو جميل هنا الا ترى ذلك؟

وبظهر قبعته نفض الغبار الموجود على طرف المقعد. ودعاها للحاق به قال ضاحكا:

- تعالي! اجلسي! لا تخافي، انا لا اعض!

جلست "چوان" بوداعة ثم قالت وهي ترفع عينيها نحوه:

- اهكذا تقضي أيام العطلة؟

- احب جانب "سان فرانسو" واعشق العصافير وكل الطيور والحيوانات ايضا.

- واي جانب اظهرت لنا بالامس؟

- اه ! سوف اتي واعطي بعض الدولارات لمن يحضر لي صورة "فيرچيل" في غطسه. كنت اجهل انكم تمرحون هكذا في نادي المدينة.

فسالته وهي مضطربة للغاية:

- ولماذا أتيت؟

- وجدت أن الأحاديث بشاني بدأت تهبط في الأيام الأخيرة. أما اليوم فقد أخذت في الانتعاش.

- أرى أن كلمات "فيرجيل" كانت قاسية إلى حد ما ولكن مع ذلك...

فقاطعها مصححا قولها:

- ليس من أجل هذا أنني تصرفت هكذا. أتظنين أنها أول مرة أسمع فيها هذا النوع من النقد؟ فعلت هذا لأني كنت متوقعا أن الجميع كان منتظرا رد فعلي لكنك ها قد شاهدت كيف لم أقم إلا بواجبي نحوهم..

همست "چوان":

- إنك رجل عجيب!

- لست عجيبا بالقدر الذي تتوقعينه. إذ إنه أمر طبيعي أن أدافع عن نفسي عند الاعتداء علي. أعلم أنهم ينظرون إلي كإنسان خارج عن القانون في "ديكتون". أنا بالنسبة لهم إنسان وحشي. شخص ممكن أن يطلق الرصاص على كل ما يتحرك. ولكن الناس يجهلون كل شيء عني إذا سألت أحدهم عني يقول إنه شاهدني أشرب على الرغم من أنني لم أشرب منذ سنوات ست...

- وما قد لصق بك من هذا الا يضايقك؟

- ولماذا؟ إن الناس في احتياج إلى ما يجعلهم آمنين، هم محتاجون أيضا إلى نظام في الحياة. المتمرد - الذي هو أنا في أعينهم - جعلهم محترمين. إذا كان هذا يساعدهم في الأحساس بالأمن...

ومع نبراته الهادئة هذه كشفت "چوان" وقاحة لم تكن تتصورها.

ثم واصل حديثه:

- إنهم سيتضايقون إذا ظنوا أن لدي نفس آمالهم وأحلامهم. لكنني أحلم لنفسي. إنني أهتم بعملي فقط.

استدار "تانير" جانبا وتمدد على المائدة واضعا القبعة على بطنه ومثبتا نظره على السماء الصافية.

- إنني أمتلك بعض الأراضي غرب تكساس. مازلت أسدد ثمنها منذ أكثر من عشر سنوات. إن كل بنس يصل إلى يدي تبتلعه.. حقا إنها ليست مساحة كبيرة إنما يكفي أنها ملكي..

استطرد "تانير" بابتسامة يكسوها الرقة:

- سوف أحقق كل أحلامي على هذه الأرض.. ساقوم ببناء منزل صغير عليها. سيكون محاطا بالأشجار وبه حديقة تنمو فيها مختلف النباتات والزهور.. وأريده أيضا ممتلئا بالأولاد .. بالأولاد يا "چوان".

لقد أدهشتها لهجة الحماس التي تكلم بها، إذ لم تر فيه قبل ذلك هذا الجانب.

وإذ يبدو حالما استطرد:

- يوجد أيضا نهر صغير على حدود الأرض. ساصطحب أبنائي إليه.. ساعلمهم الصيد وأيضا ركوب الخيل وزراعة الحديقة.. سالقنهم حب الطبيعة.. ساجعلهم أيضا يعرفون كيف يميزون ما هو نافع في الوجود وسوف لا تنقصهم روح الدعابة فيسخرون من الباقي ويضحكون إذا شاءوا.

www.elromancia.com

وبنبرة جادة أكمل:

- أنا لا أملك شيئا، أنت تعلمين هذا جيدا: حصاني .. سيارتي.. قميصي.. هذا كل ما عندي.. إنها أم أولادي التي ستتكفل بالباقي.. كل ما يهب المنزل روحا وبهجة وكل ما يعطي الأولاد إحساسا بالأمان.

وظل صامتا لحظة غارقا في أحلامه ثم استكمل بلهجة ينبعث عنها أحساس:

- سيكون على الشرفة كرسيان تجلس عليهما من ستكون شريكة حياتي وأنا.. نراقب أولادنا في أثناء لعبهم، لن تكون أي امرأة ستكون من نصيبي، إنما ستكون الزوجة التي تعرف كيف تساندني حتى في أشد اللحظات وتقف إلى جانبي في كل مواقف الحياة. ستعمل هذا عن طيب خاطر لانني الرجل الذي اختارته لتقضي عمرها معه ستكون زوجة تعرف معنى كلمة "إلى الأبد". زوجة..

لم تكن "چوان" ترى وجهه لانه يعطيها ظهره إلا انها خمنت التوتر الذي يصاحبه.

ثم استطرد فجاة:

- أعلم تماما انك ترين في ذلك خيالا واسعا وانه من المستحيل ان يجد "تانير ويست" زوجة كهذه. اليس كذلك؟ إذن أنت على حق، واعرف تماما انه ليس سوى حلم، لكن من حق أي رجل أن يحلم اليس كذلك؟!

التفت نحوها متوقعا إجابة منها ورمقها ليرى في عينيها شعاع اشتياق للحب والمودة.

أجابته مضطربة:

- بلى! كل رجل له الحق في أن يحلم..

وكل امراة ايضا يمكنها أن تحلم!!

وفي لحظة خاطفة شعرت "چوان" برغبة في الذهاب إليه ومعانقته.. ولكن سرعان ما تبددت افكارها عند سماعه يطلق ضحكة عالية. قال:

- وإذا كنت غير مصدقة.. ساكلمك ايضا عن كوبري .. لكن اخبريني يا جميلتي: هل تاخذين كلماتي هذه بجدية ؟!

وفجاة هز راسه بشدة وقفز من على المنضدة التي كان مستلقيا عليها وقبل ان يتجه لاخذ سيارته قال لها:

- اتعلمين لماذا اسرد لك كل هذا؟ لانك سريعة التصديق! انتظرك هذا المساء. اليس كذلك؟

- بلى! بلى ساحضر بمشيئة الله.

لم تشعر "چوان" نحوه باي حقد او ضجر على الرغم من انه كان يعمل على إثارتها، ربما تكون ساذجة ولكنها تعلم انه قال لها الحقيقة، إنه يحلم للمستقبل...

هذا هو السبب الذي جعله يتقهقر إلى الوراء فجاة. لقد حاول - لما ادرك انه سلم المراة الشابة جزءاً بسيطا من نفسه - أن يستعيده منها قبل أن يسنح الوقت امامها لتتفحصه.

كان يلزمها سنتان لتدرك ذلك لكن "چوان" اليوم عرفت السبب الذي دعا "تانير" لمضايقتها وتعذيبها إلى هذه الدرجة. لقد تصرف هكذا لانها هي الوحيدة التي اكتشفت ما يوجد بداخله حينما نظرت إليه.

و"تانير" يكرهها لهذا السبب. إنه يكرهها لانها عرفت بعض الأمور

www.elromancia.com

عنه لم يستطع أحد قبلها أن يدركها قبل الآن.

لقد قال إن المدينة تعامله كشخص خارج عن القانون لكنه أخطأ إنه هو الذي يلقب نفسه هكذا. هذا هو سلاحه الذي دائما ما يستخدمه في هجومه.

قالت "چوان" لنفسها وهي تعود إلى سيارتها: لا أحد يمكنه الوصول إلى "تانير"، لأنه يدفع أي شخص يقترب منه حتى قبل أن يهاجمه.

الفصل السابع

يوم الخميس التالي ذهبت "چوان" إلى مكتبها وكان فارغا، لأن "جلينا" كانت تعاني من نزلة برد، وظلت معتكفة في منزلها لا تفارق السرير. الأمر الذي يعني أنه ليس لأحد أن يسألها لماذا تأخرت في المحكمة.. ولم هذا البريق الغريب في نظرتها؟

لقد مرت الآن أربعة أيام منذ أن قابلت "تانير" في الحديقة المحاطة بشجر الأرز.. وكانت قد توجهت عنده مرتين لتلقي الدروس. وكأنهما متفقان من سابق لم يعلق أحدهما على اللقاء الأخير.. وتمت الدروس كالمعتاد.. "تانير" يصدر أوامر إليها وهي تستمر في التنفيذ ممزقة بين الضحك والرغبة التي يوقظها هذا الرجل داخلها. لم تكف "چوان" عن التساؤل: إذا ما كانت ستصل إلى ما تبغي غير أنه في دقائق اضطرب

www.elromancia.com

كل شي بالنسبة لها.

عندما دخلت مكتبها اغلقت "چوان" الباب خلفها. ثم بينما تميل برأسها على الجانب قهقهت:

- هل في استطاعتي معرفة ما يضحك إلى هذا الحد؟

فوجئت بمقعدها يتحرك فاكتشفت ان "تانير" يجلس مكانها ورأسه مستند إلى يده.

بادرها بهدوء:

- وكانك قد ربحت الجائزة الأولى، او قد نجحت في قضية مهمة.. لا تقولي لي إن إدارة الكهرباء تفاهمت مع انسة "رودال"؟

ابتعدت "چوان" عن الباب واتجهت نحو "تانير" ثم وضعت كفيها على حافة المكتب.

وعلقت مبتسمة:

- أمامي - بحذائه المعفر، والچينز القديم. ويا للغرابة قميص نظيف وأزراره مغلقة حتى النهاية لأول مرة - يوجد عبقري حقيقي.

ثم استطردت أمام الدهشة الواضحة عليه:

- كانت لدي الرغبة اكثر من مرة خلال العامين الماضيين في أن اخنقك، واكثر من ذلك لقد تمنيت لك الموت احيانا إلا انه وجب علي الآن ان اقر بصراحة وان اعترف انك اليوم انت "تانير ويست" متمرد مدينة "ديكتون" عبقري حقيقي.. لو كنت اضع قبعة الآن لخلعتها لتحيتك تقديرا وإجلالا مني.. ولما لم يكن لي قبعة فإني مضطرة ان اشد على يد من حقق معجزة.

وامام طلعته المنزعجة قهقهت مرة اخرى:

- لا! لست فاقدة الوعي ! لا تخف.

ابتعدت عن المكتب وشابكت ذراعيها ووقفت تتامل محدثها قائلة:

- الا ترى يا سيد "ويست" انك رجل مكار . لا ريب في انك تعرف الكثير عن النساء اكثر من كل رجال المدينة مجتمعين.

وبخفة مرت "چوان" خلف المقعد الذي يجلس عليه "تانير" ووضعت يديها على ظهر الكرسي.. ثم مالت عليه وبشفتيها لمست رقبته.

- حزر .. فكر.. انظر.. ماذا ترى؟

وقد نفد صبره قبض على يديها والزمها ان تعود امامه حتى يستطيع رؤية وجهها.

- أرى فيك امراة مشرقة مبهجة.. هل طلبك "ديف" للزواج؟

اجابته قبل ان تجلس على زاوية المكتب :

- لا بالمرة ! انظر إلى السيدة التي تكلمك. هذه المراة قد تغيرت بفضل مواهبك، لقد اصبحت حساسة. حساسة هل تفهم معنى هذه الكلمة؟.. واقول لك اكثر من هذا جذابة... متقدة.

قال "تانير" مترددا:

- لا ادري .. إنما ارشح...

قاطعته :

- إن التواضع لا يتفق مع شخصيتك يا "تانير". الا تفهم ذلك؟ كنت تقول لي: إنك ستعلمني كيف اجذب الرجال وهانت قد نجحت.

جلست على كرسي في مواجهة "تانير" وقد بدا عليها التعب.

www.elromancia.com

- لقد قابلت منذ برهة "ديف" في المحكمة .. وتناقشنا في موضوع عادي بطريقة طبيعية. ولم أشعر بالحاجة لأن أضع يدي على ذراعه لأشد انتباهه ولا أيضا أن أضحك إلا أنه كان ينظر إلي نظرة تختلف عن نظرته الماضية لي بطريقة غير معتادة من الصعب أن أصفها لك.

وبابتسامة ماكرة أكدت:

- ولقد حددنا موعد لقائنا مساء غد للعشاء، ثم الرقص بعد ذلك.

ثم أضافت وهي تميل نحوه:

- إنه أمر يهمك: لقد سألته عن "ليندا" فأخبرني بأنها سافرت إلى "نيويورك" لكنه يتوقع عودتها لأنها تركت كل أشيائها في المزرعة. كان يعتقد فقط ... لأنه لم يكن يبدو عليه حقيقة الاهتمام بها. كان يبدو...

ولما لم يبد "تانير" أي رد فعل توقفت "چوان" لتسأل:

- لماذا لم تقل شيئا؟! المفروض أن تسر إذ إن هذا الخبر ينبغي أن يسعدك، يجب أن تفرح لتصرفي هذا. إن عملنا معا مستمر يا "تانير"!

التفت "تانير" وقد بدا عليه التفكير وأخذ يحك ذقنه قائلا:

- لست أدري!

فسألته وقد تملكها الغيظ:

- ماذا تقصد؟ "ديف" أعطاني موعدا، إنه لاحظ التغيير الذي طرأ علي يا "تانير".

فأجاب وهو يهز رأسه:

- حسنا! كبداية نقول حسنا! لكن ماذا سيحدث إذا ما خرجتما معا غدا وفجأة تعودين إلى ما كنت عليه؟! إننا لم ننه الدروس يا "چوان"..

مازلت أشعر فيك طابع الأمريكية التي...

- لكني كنت أعتقد...

- اسمعيني جيدا يا "چوان" أنا لا أبغي تحطيمك. لقد حققت تقدما كبيرا. إذا كان "ديف" قد غير نظرته لك، هذا لأنه وجد فيك تغييرا.. رأك قد تبدلت وأصبحت امرأة أخرى. وإن لم تشعري بالتغييرات التي طرأت عليك فهي مالا شك فيه - واضحة: في طريقة تحركاتك، في مظهرك، في انفتاحك على العالم كما إن ارتداءك هذه الملابس الحريرية الشفافة لا تزعج أحدا.

أحست "چوان" بالإحمرار يكسو كل جسدها عندما شعرت أن قميص نومها الأحمر يبدو ظاهرا من تحت ملابسها.

أكمل "تانير" حديثه وهو يبتسم.

- لا تنظري لي هكذا ! أنا لم أعد أتجسس عليك ولم أسأل "پولا" شيئا عنك. إنني أحسه. إن ما وصلنا إليه ما هو إلا لجذب انتباه "ديف" وحاليا علينا أن نعمل على معرفة كيف ناسره.

ثم نهض ودار حول المكتب.

- ثقي بي يا "چوان" نحن لم ننته بعد. تعالي هذا المساء سنقوم بتجهيز عشاء يعوض التكرار الممل.

حولت المرأة الشابة رأسها لتتابع عيني "تانير" الذي اتجه ناحية الباب.

- ألك دراية بشؤون المطبخ؟

- نعم! أعلم جيدا وإذا ما حاولت أجيد ما أكلف بعمله.

ثم اضاف قبل ان يخرج :

- إنها افضل وسيلة تجعل الناس يتذكرونني.

###

غطى "تانير" المائدة بمفرش ابيض، وكانت شمعة واحدة تضيء الحجرة وهذا كما وضح لـ"چوان" لخلق جو مماثل لجو الاماكن التي سوف يصطحبها إليها "ديف"، ومن المقعد الذي كانت جالسة عليه ظلت "چوان" تراقبه وهو يتصرف امام الموقد.

سالته فجاة:

- كيف توصلت إلى ما انت عليه؟

ولما لم تحصل على رد اضافت دون ان تظهر اي إشارة لسخطها:

- حتى الآن.. انا لا افهم ما انت تسعى لتحقيقه. الآن لقد اصبحت قادرة على تناول الحديث بمرونة وسرعة خاطر في اثناء العشاء ولا اشك في ان تصرفاتي فيها ما يسبب ضيقا لـ"ديف".

- إن ما تقومين به لا علاقة له البتة باصول الإتيكيت. إن هدفنا الآن هو ان تستمري في إغراء "ديف" من خلال قيامك باي شيء اخر ولا تكتفي بانه قد اهتم بمظهرك الذي انت عليه الآن وإعجابه بالتغيير الذي طرأ عليك.

سالته "چوان" بارتياب:

- وهل سأصل إلى هذا بمفردي؟ اقصد من تلقاء نفسي؟

- بالتاكيد نعم ! لذا وجب عليك استخدام سحرك في جعله يتمنى بقاءك إلى جواره اطول مدة ممكنة ليصل إلى معرفة المزيد عنك.

ولما اقترب "تانير" ليضع امامها طبقا رفعت "چوان" عينيها نحوه..

ثم قالت:

- أعلم اني جئت لأراك. لكن احيانا... يعتريني إحساس بانه تصرف غير شريف.

- لا يا "چوان" إنه امر طبيعي.

وقبل ان تبدأ في الاكل.

- أعرف جيدا انه لست انت الذي قمت بإعداد هذا الطعام. ألست محقة في ذلك؟ لقد احضرته من مطعم "اورسكوب". إنه المكان الوحيد في الولايات المتحدة الذي يقدم اطباق الفطائر هذه.

فاجاب وهو يصب لها العصير في كوبها:

- عندما قلت لك: إني أعرف أصول الطهو لم أقل لك إني سأقوم بإعداد الطعام..

قال مستطردا:

- اما ما سنفعله في اثناء العشاء فهو مناقشة مواضيع ساخنة، ربما يكون في البداية صعبا عليك، لأن ذهنك لم يعتد ذلك وعليك التخلي عن أسلوبك وتعليقاتك الطفولية لابد ان تصبح كل كلمة من كلماته مثيرة فإذا قال لك. مثلا إن الخبز جاف قولي له: إن الجفاف طبعك المفضل.

كيف ستتوصل "چوان" إلى تحويل مغزى الكلام؟

ولما انتهى العشاء رفع المائدة معلنا :

- والآن. إنها ساعة درسنا في الرقص.

قالت "چوان" بدهشة:

- الرقص! في إمكاني أن أرقص.

- تعرفين رقصة المدينة؟

- لا! لأني مع "چوني" كنا معتادين على...

قاطعها "تانير" مبتسما من زاوية فمه.

- أن ترقصا سلو أو روك إنك لا ترقصين رقصة المدينة.

ثم فتح الراديو باحثا عن المحطة التي تذيع الموسيقى أربعا وعشرين ساعة.

- والآن نبـدأ ببطء، لا تنزعـجي. انظري لي.. خطوة خطوتين ثم انزلاقة قدم.. ثم خطوتين وانزلاقة قدم وهكذا! اتفقنا؟ أعتقد أن المسالة بسيطة.

ثم علمها كيف يتشابكان واضعا يده على عنقها، ممسكا بيدها باليد الأخرى.. ثم قال لها:

-والآن ضعي انت يدك على وسطي.

قالت "چوان" لنفسها وهي شبه سعيدة ومتضايقة في آن واحد " إنه ينتهز الفرصة".

ووسط ضحكات مرحة تممت هذا الدرس بكفاءة. ولم يتركها تلتقط انفاسها إلا بعد ثلاث رقصات. وأخيرا جلست أمام المائدة لتبتلع جرعة ماء فقد جف لسانها.

- اتفقنا! حقا إني كنت في احتياج إلى هذا الدرس. لقد اكتشفت اني أجهل أصول الرقص. والآن ماذا سنفعل؟

- سنجلس في مواجهة بعض لتناول المرطبات. خذي رشفة ثم تلذذي

بالشراب علي شفتيك وانت تثبتين نظرك علي.. في عيني.

- لا ! يا "تانير" لا أستطيع القيام بهذا الدور. إنها سخافة .

- اسكتي وافعلي ما اقول لك.

نفذت "چوان" أوامره غير راضية وحينذاك رات ان انتباهه مركز تماما على فمها.

- آه! لو رأيت سحر عينيك!

قال هذا متمتما.

فالتفتت "چوان" محرجة ثم استفسرت:

- ترى هل أعتبر قد أجدت؟ لم أعتقد ان التلذذ بالشراب على الشفتين له هذا الأثر على من يلاحظك.

-وبامتياز!

وفي اثناء تناولها باقي العصير انتابتها نوبة كحة شديدة مما جعل العصير ينسكب على ملابسها.

فقال لها ضاحكا:

- آه لو حدث ذلك وانت مع "ديف" لأفسد لك الامر كله .

- آه! كفى ! أرجوك، كفى. لا تسخر مني.. لا أعتقد ان هذا من الممكن حدوثه معي في حضرته.

- لا تنزعجي . اخلعي قميصك وساضعه لك في الغسالة .

- هل عندك غسالة؟

- غسالة ومجفف أيضا. اتظنين اني اذهب إلى النهر كل صباح لأغسل ملابسي؟

www.elromancia.com

دون أن تجيب سارت "چوان" خلف "تانير" إلى الحجرة.

وناولها "روب نوم" حريريا قائلا:

- ضعي هذا إلى أن تجف ملابسك.. إنه هدية، التي قدمته لي لم تمكث معي طويلا لتعرفني بقدر كاف، لأني لست من النوع الذي يلبس "روب نوم" حريريا.

دخلت "چوان" المكان الصغير جدا الذي يمكن اعتباره حماما، وخلعت ملابسها وناولتها لـ"تانير" من الباب الذي كان مفتوحا قليلا، وتفحصت المكان ظنا منها انه من الممكن أن تأخذ دشا.. كان يوجد حوض تعلوه مرآة مضاءة.. كرسي خشبي صغير.. دولاب يحتوي طبعا على مناشف ولكن لا يوجد بانيو ولا حتى "دش".

- "تانير" أين البانيو؟

- ليس لدي بانيو، استخدمي "الدش".

- أنا لا أرى "دش"!

- افتحي الباب المواجه لك.

لما فتحت الباب صاحت:

"تانير" انت تضع الدش خارجا تحت السماء؟

وفتحت الصنبور واندفعت تحت تيار الماء واقشعر بدنها في بادئ الأمر عند ملامسة الماء البارد له ثم اعتادت برودته.

- ممتع! أليس كذلك؟

فصرخت منزعجة:

- أين أنت؟

- إلى جانبك!

فالتفتت محاولة ستر جسدها.

قال وابتسامة ماكرة تعلو شفتيه:

- إنني متأكد أنك تتوارين الآن. لا تقلقي فإنني لا أرى شيئا.

قالت وهي تدرك أنه لا يستطيع أن يميز شيئا عبر السطح:

- إنني أسخر من نفسي. استمر في حديثك.

- افعلي أي شيء وكأنني لست موجودا. ارفعي عينيك إلى السماء يا "چوان". أليس هذا مشهدا رائعا؟ ألا يسحرك منظرها؟

رويدا رويدا اخترق صوت "تانير" العذب ذهن "چوان" التي استرخت ونسيت عصبيتها.

قال مواصلا حديثه:

- اسرحي بخيالك يا "چوان". لقد رأت هذه السماء قصص كل الرجال السعداء والتعساء، الهادئين والعنفاء.

استمعت "چوان" - التي أثارها الفضول - إلى ما يرويه "تانير" بكل ود. ودون أن تدرك ابتعدت "چوان" عن صنبور الماء واستندت - برقة - إلى الجدار.

- إن كونك في الحال التي أنت عليها الآن يا "چوان" هو الشيء الطبيعي في هذا الكون. إن الحضارة تدعي أنها تفضلنا عن الطبيعة. لكن هذا ليس إلا خيالا وعجرفة. هذه الطبيعة توجد بداخل كل واحد منا وفيك وفي مثلما توجد في الحيوانات والطيور وسائر المخلوقات.

إن هذه الكلمات لا تبدو غريبة عليها لقد سمعتها كثيرا من قبل. كان

www.elromancia.com

يقول لها: عليها أن تفخر بانتمائها إلى الخليقة جمعاء وأن عظمة الطبيعة متمثلة فيها.

ثم عاد واستطرد:

- وكباقي الكائنات ينجذب الذكر إلى الأنثى لاستمرار الأجيال وهي سنة الحياة وقد باركتها الأديان السماوية.

كان صوته يزداد - شيئا فشيئا - دفئا وحرارة، وتكسوه جاذبية تملكت من "چوان" ببطء.

إن هذا الحديث يعكس ما كان يريد "تانير" قوله لها منذ أسابيع. ترى هل هو على حق؟ هل عندها هي أيضا الاستعداد الطبيعي؟!

وفجأة سمع نبرتها المتذمرة:

- لقد ابتل شعري!

- يا خسارة!! لا تتضايقي يا عزيزتي ليست كارثة أن يبتل شعرك. المرة القادمة سيكون درسنا تحت المطر.

- لا ! لا داعي لدروس أخرى. أرى أنه يجب أن أعود لتجفيف شعري.

خرجت "چوان" حينذاك من الحمام وهي ترتدي قميص نوم مدهش للغاية.

قال "تانير" مواصلا حديثه:

- هل تخيلت مشهد الحب الذي حدثتك عنه؟

أجابته وهي تتنهد:

- نعم... نعم.

داعب "تانير" - في ذلك الوقت - كتفيها العاريتين. إنها حركة

مفاجئة، واثرها سريع ومفاجئ على "چوان" التي شعرت بصدمة كهربائية تجتاحها.

- "چوان" ، ماذا بك؟

- لا شيء... لا شيء على الأطلاق.

إنها تكذب بالتأكيد. لقد أصابها الاضطراب تحت تاثير لمساته ولكنها لا تود الاعتراف. وقد يقال إنها ساذجة بالقدر الكافي لكي تصدق انه يمكن تجاهل الجاذبية التي يمارسها "تانير" عليها. إنها جاذبية شديدة للغاية لا يمكنها أن تقاومها.

بينما كانت تحاول التحكم في نفسها داعب "تانير" ظهرها، ومرة أخرى سرت رجفة في انحاء جسدها. أرجعت "چوان" راسها إلى الخلف، وعندما سمعته يتكلم ضاعت كلماته في ضباب خيالها.

سالته برقة:

- ماذا قلت؟ لم أفهم.

- أقتربي مني أكثر يا "چوان".

فكرت "چوان" في أنه ينبغي عليها أن تبتعد... وفي الحال حتى لا تترك نفسها لإغرائه. لابد عليها...

لكن قبل أن تنوي ذلك كان قد اقترب منها بشدة.

قال وأصابعه تتحسسها:

- أتذكرين عندما قلت لك إن مفهومك للحب ليس مثل مفهومي؟ هل تضايقك فكرة ممارسة الحب يا "چوان" تحت ضوء القمر؟ هل أخذ ما ترغبين فيه دون أن تقلقي بشأن احترامك للأعراف يكدرك أيضا؟

www.elromancia.com

لم تكن كلمات "تانير" تذهب إلى عقل المرأة الشابة ولكنها تصل إلي جسدها مباشرة وتدفعها إلى الاقتراب منه كثيرا.

زاد أثر الجاذبية التي يمارسها عليها.

أغمضت "چوان" عينيها وهي تكتم تاوهات رغبتها. لابد عليها حتما أن تستعيد سيطرتها على نفسها وتهرب قبل أن...

كانت مجرد فكرة أن تتخيل ما يمكن أن يحدث بعد ذلك لا تحتمل. وحينذاك لملمت المرأة كل قوتها التي تمكنت منها وابتعدت عنه فجأة.

كان يلزم "چوان" بعض الوقت حتى تعود نبضات قلبها إلى إيقاعها الطبيعي. حاولت - وهي تستند إلي الحائط - أن تهدئ نفسها وتتنفس بطريقة منتظمة.

لم يكن "تانير" يدري ما فعله بها. كان مستحيلا. ارتدت "چوان" بعد ذلك الروب، وجلس الاثنان على الأريكة يتحدثان عن الدرس الذي انتهيا منه في التو. حاولت "چوان" -طوال فترة محادثتهما - أن تعود بأفكارها إلى الوراء وأن تصبح الإنسانة العاقلة التي كانت عليها قبل أن تطلب مساعدة "تانير". لكن كل هذا كان بلا جدوى. إنه لا يمكنها الرجوع. لقد عرفت الكثير عن العاطفة والحب والرغبة. أيقال للزهرة عودي بذرة؟!

لابد عليها الآن أن تساير شخصيتها الجديدة.

تأكدت - عندما نهضت - أن "تانير" يتأملها بعين ثاقبة وابتسامة ماكرة تكسو شفتيه.

سألته:

- لماذا تنظر إلي هكذا؟

- إذا كنت تريدين إثارة "ديف" انصحك بارتداء هذا "الروب" في أمسية الغد.

أخفضت "چوان" رأسها ببطء وأدركت - بفزع - أن الروب يكشف عن صدرها. لم تنطق أي كلمة عندما ضبط "تانير" الروب وغطى صدرها العاري ثم ربط الحزام حول خصرها.

قال لها:

- هيا! ادخلي لارتداء ملابسك. والآن وجب أن تعودي لتستريحي استعدادا لسهرة الغد...

بعد لحظات ركبت سيارتها. وقبل أن تنصرف ألقت نظرة أخيرة على منزل "تانير" لما أدركت أنه واقف أمام الباب لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في جسديهما العاريين تحت ضوء القمر.

الفصل الثامن

وضع "تانير" سيارته في جراج مطعم (شيز روستي)، أوقف المحرك واستند بذراعيه على عجلة القيادة.

وكان مقهى "ديكتون"، وهو مطعم صغير ظريف عن يمين هذا المبنى يفصلهما سور خشبي. هناك كان "ديف" و"جوان" يتناولان العشاء. وكان "تانير" يعرف ذلك لأن السيارة "لينكولن" البيضاء كانت موجودة في الجانب الآخر. لذا تاكد أن هنا موضع لقائهما. ربما كان هنا أيضا مكان لقاءات "ديف".

تساءل "تانير" وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة إذا ما كان "ديف" قد انتبه إلى السيدة التي يخرج معها.. في هذه الأمسية هل لاحظ "جوان" الجديدة. الأخرى "جوان" الحقيقية الذكية اللماحة التي أصبحت جذابة.

ترى هل من فرط سذاجتها لا تشعر بذلك؟

ضحك "تانير" من أعماقه عندما فكر في النصائح الغبية التي كان يلقنها لها الليلة الماضية.. "جوان" كانت تغفل عن انه من المفروض أن تتنازل قليلا عن القيود القديمة حتى تستطيع إخضاع كل رجال المدينة تحت قدميها.. أشياء كثيرة مازالت تجهلها.

وبعد لحظات التفكير هذه حول "تانير" نظره نحو اضواء المطعم.

نزل من سيارته واتجه نحو المدخل وعند دخوله وجد أمامه "مارتي چونسون". "مارتي چونسون" رجل أسمر ذو كتفين عريضتين وهو صهر "فيرچيل إمبري"، يمتلك مزرعة في المنطقة على بعد خمسة عشر كيلو مترا جنوب "ديكتون". ومن المعروف أن "فيرچيل إمبري" يكره "تانير" من اعماق قلبه.

كان "مارتي" ثملا هذا المساء وخطواته غير ثابتة، عندما أراد أن يخرج.. وقبل أن يكتشف الحاجز الذي أمامه الذي كان يظن انه يمنعه من الحركة رفع بصره ليرى "تانير".

فاردف:

- "تانير ويست" ! ماذا تفعل هنا؟ هل أتيت هنا للقيام بالتحريض ؟

- إنك فاقد الوعي يا "مارتي"؟ ليس لي أي غرض في المجيء إلى هنا.. لكني لن اقضي السهرة في التخمين إلى أين أنت تتجه، قف مكانك .. لا تتحرك ودعني أمر.

ولكن في نفس اللحظة التي حاول فيها "تانير" أن يخطو خطوة إلى الأمام كان هذا الرجل قد سد عليه الطريق .

- إن ما قاله "فيرچيل" في نادي المدينة كان غير لائق .. لقد قلت له..

لقد قلت لـ"فيرچيل" : إنه أخطأ لأنك ربما تكون ابن غير شرعي للعجوز "چو" على الأقل لأن نصف الدم الذي يجـري في عـروقك ليس من دم الرعاع.

تأمل "تانير" - وهو يضع يده في جيبه - "مارتي" طويلا ثم قال له:

- إنك تهذي ولا ترى أمامك. لنتبادل الآن بعض عبارات الأدب.. ألا تتركني أمر؟

تعجب "مارتي" وهو يبدي غضبه:

- ياله من حقير!

قال "تانير" وهو يبدو محبطا:

- هذا ليس ظريفا منك. اسمع إذا كنت تريد أن نتعارك قـلها صراحة.

- تعرف جيدا أنني أقوى منك. ساحطمك مثل الناموسة أتريد التحقق؟

- وهل أنت متأكد من رغبتك في العراك؟ فكر يا "مارتي" لديك الوقت لكي تقول : لا. لن يعرف أحد سوانا.

أجابه "مارتي" وهو يوجه له ضربة قوية في جذعه:

- أهذا يروقك؟ إنني أعتقدت أن "ديف" أخرج محامينا اللطيفة هذا المساء. أعتقد أن "چو" يقدرها أيضا. ولكن إذا تزوجا ماذا سيحدث لك يا "تانير"؟ ماذا سيحدث عندماينجب "ديف" أولاداً لآل "ماكليستر"؟ سينساك العجوز، هذا كل ما في الأمر. إنني متأكد من أن "ديف" سيحب إنجاب أطفال من هذه الصغيرة. يبدو له في أغلب الأحيان أن...

توقف "مارتي" عن مواصلة حديثه لما أمسكت يدا "تانير" القويتان حلقه وضربه. رفع - حينذاك - قبضتيه الغاضبتين لكن سرعان ما أنزلهما عندما نظر في عيني منافسه.

حينذاك فقط أدرك "تانير" أن "مارتي" قدم له خدمة جليلة فلقد أعطاه - تحديدا - ما كان يحتاجه في هذا المساء. إنه لم يحتسـ الشراب ولكنه أطلق مكبوتاته ضد هذا البرميل المتجول.

كانت "چوان" تسير إلى جانب "ديف" على الطريق المؤدي إلى حديقة مطعم "ديكتون" اليابانية عندما جاء إلى مسامعهما صوت المشاجرة. اقتربا من السور. وما كانت "چوان" تخشاه قد وجدته: "تانير" ممسكا بـ"مارتي" من ياقة قميصه ودافعا به على سيارة.

صرخت عندما رأت "مارتي" يلكم "تانير" في فمه وإلى جوارها كان "ديف" ضاحكا.. ثم أمسك بذراعها واصطحبها بعيدا، ولما التفتت "چوان" قالت:

- ليس هنا من يتدخل لفض هذا النزاع؟

أجابها "ديف" بنبرة هادئة:

- "مارتي" في إمكانه أن يتصرف بمفرده، وأيضا "تانير" يعرف متى يتوقف.

لم يكن "مارتي" هو الذي يشغل بال "چوان"! كان وزنه يزيد بمقدار عشرين كيلو جراما عن وزن "تانير".

- ولماذا يتشاجران هكذا؟

- من يدري ؟ يبدو أنه يحب ذلك! منذ أن عرفته وأنا أراه يتشاجر كان

هذا في دمه!

إن "ديف" و"تانير" نشا معا وتصرفات هذا الأخير لم تدهشه.. ولم يخطئ الرجل الكبير "چو" عندما قال: إن هذا الرجل اي "تانير" في نزاع دائم مع نفسه.

بعد ساعة كانت "چوان" واقفة أمام منزلها لترى سيارة "ديف" تبتعد.. لقد كانت غير قادرة على استعادة الحديث الذي دار بينهما على طريق العودة. لأن منذ ذلك الحين ومشكلة أخرى تسيطر على ذهنها. إنها مشكلة اسمها "تانير".

دخلت وأغلقت الباب وراءها .. إنها ليست امور "تانير". التي تشغلها وهو لن يشكرها على قلقها على مصيره.. لم يكن لها الحق حتما في أن...

انقطعت دوامة الخواطر هذه فجاة.. عندما وقع نظرها المشتت على رجل جالس في الصالون.

كان "تانير" جالسا على مقعد يقلب صفحات البوم صور فوتوغرافية ثم نظر إلى "چوان" وسالها:

- من هذا؟

وضعت حقيبتها على منضدة ولحقت به:

- إنه عمي "تيتوس" وباكثر تحديدا عمي الكبير. كم كنت اخاف منه عندما كنت صغيرة. ولا أدري ما السبب.عندما كنت اقترب منه كان يصرخ وعندما أجري لأختبئ كان يقهقه.

ولما أشار على صورة أخرى.. قالت:

- إنها خالتي "بوچي" الأخت المتبناة لأمي. هذه لم تنجب ابدا، لذلك كانت تدللني كثيرا .

-وهذه؟

- إنها انا عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري. أنا أكره هذه الصورة لأن الظل يعطيني فيها وجها ضخما. إني اتعجب لماذا أرسلتها لي والدتي وهي تعلم اني لا أحبها؟!

اعترض "تانير":

- لا ! إن وجهك لا يبدو ضخما ابدا، وعيناك حالمتان وكانك ترين اشياء لا يستطيع أخرون رؤيتها. إنها بالعكس صورة جميلة جدا!

- إذا كنت تقول هذا..

وتوقفت عن الكلام عندما اكتشفت الجروح على جبهته ووجنتيه.

ثم قالت له متاثرة:

- انظر في اي حال انت! تعال يجب تطهير هذه الجروح.

كانت متوقعة انه سيعارض. لكنه تبعها حتى الحمام وجلس على كرسي خشبي صغير، وتركها تعالج له جراح وجهه.

ثم سالها بعد بضع ثوان:

- اخبريني يا "چوان" هل نجحت في إخضاع "ديف"؟ هل ركع تحت قدميك؟

- ليس بالضبط!

- ماذا؟ لا تقولي لي انه لم يقترح عليك شيئا؟ الم يطلب أن تشاركيه الشراب في منزله؟ على كل حال مهما طلب منك فلا تعطيه. دعيه دائما

مشتاقا إليك.

انزلت "چوان" ذراعيها واتجهت نحو غرفتها وهي تكاد تكون مدركة أن "تانير" تبعها إلى هناك. فكرت: كيف وباي اسلوب في إمكانها أن تعلم "تانير" بان خطته لم تنجح؟ وان كل هذا العمل وهذه الدروس لم تفد في شيء.

حقا كان "ديف" لطيفا ورقيقا معها. إنما شعرت انه ليس لها. لقد اكتشفت في هذه الليلة حقيقة غير مقبولة: صلتها بـ"ديف" لن تتعدى الصداقة وصداقة سطحية، لانه لما قبلها لم تشعر نحوه باي عاطفة. إن كل الجاذبية التي عرف "تانير" تحريرها من داخلها لم تظهر إلا في هذه القبلة الفاترة... كما انها تعتقد ان "ديف" لن يترك فرصة لـ"تانير" كي يستميل "ليندا".

ذهبت "چوان" - وهي مشغولة البال - ناحية السرير وجلست على حافته. إذا كان "ديف" يستخف بها فإنها لن تسعد لرؤية "تانير" يلقي بنفسه - تحت نظرها - في علاقة عاطفية. ولم يكن من المنتظر ابدا ان التلميذة واستاذها يصبحان صديقين. صديقين مقربين متفاهمين. ومن اليوم اصبحت "چوان" تتمنى له كل خير وترجو له حياة سعيدة للأبد مع "ليندا" إذ تلزمه إنسانة مثلها. تلزمه امراة تعرف معنى كلمة "إلى الأبد".

وبعد أن أطال النظر إليها قال مبتسما:

- هل لاحظت اننا احيانا نندم على اننا لسنا حجارة. الحجارة لا تهتم بشيء.. إنها لا تبالي بشيء.

- كفاك فلسفة يا "تانير". الأفضل من هذا. اخبرني لماذا تشاجرت هذا المساء؟

- لان هذا الـ"مارتي" كان في احتياج إلى درس جيد لا ياتي إلا بالضرب والمشاجرة.

قالت له ملاحظة:

- إنهم كلهم هكذا في الجنوب.. لكن يا "تانير" ما السبب الحقيقي ؟

قال وهو يجلس:

- لقد حاول التطرق إلى أصلي إلى والدي.

- والديك؟ كنت اعتقد ان "چو" العجوز.. أود ان اقول ...

ولما لمس ارتباكها قاطعها بضحكة جافة. ثم قال:

- اعرف ما تريدين قوله. لقد كنت حاضرة عندما عاب "فيرچيل" علي بانني ابن غير شرعي لـ"ماكليستر"، إذا كنت ابن "چو" لكان سيتجنب إخفاءها، بل كان صعد على سطوح المنازل ونادى بها باعلى صوته.

- اعتقد انه هو الذي رباك.

- لا! لقد ربيت نفسي.. إن ما فعله هو غاية ما في الأمر انه وهبني المأوى.

- أخبرتني "جلينا": انها تتذكر يوم وصولكما انت ووالدتك إلى مدينة "ديكتون"، ولكن اين كان والدك وقتئذ؟ هل لك زمان طويل لم تره؟

- في اكتوبر يكون لي ثمانية وعشرون عاما، رايته آخر مرة عندما كان عمري سبع سنوات إذ لم التق به منذ ذلك اليوم إنه غير كامل - دون شك ولكنه يعرف كيف يصرف نفسه.

فطنت "چوان" إلى الأمر من الضحكة التي صدرت منه، وليس من نظرته التي كانت مليئة بالحزن الدفين.

واستطرد:

- كنا نعيش في "أبيلين".. مكثنا فيها ستة أشهر، لم نتلق خلالها أي معلومات عنه.. إلى أن ظهر ذات يوم فجأة واصطحبني للعشاء في مطعم إيطالي، وعند عودتنا إلى المنزل تحدثنا طويلا تحت البلكون.. أعلمني من خلال أحاديثه أنه ارتكب في حياته أخطاء كثيرة وأنه من أجلي سيعمل على تصحيحها كماوعدني بأنه من الآن فصاعدا سيكون أفضل أب أفخر به وأستحقه.. أنه سوف يصطحبني كل صباح للصيد كما أنه سيشتري لي عجلة.. وكيل من الوعود التي ترضي طفلا.

تنهد "تانير" وأغلق جفونه لحظة.

- ثم واصل حديثه:

- لقد كانت أجمل ليلة في حياتي وليس في طفولتي فقط. مازلت حتى يومنا هذا أتذكر ما كنت أشعر به في هذه الليلة : عند الذهاب إلى فراشي. كنت سعيدا.. فخورا به.. لكن عند استيقاظي في صباح اليوم التالي حدث ما لم نتوقعه.. رحل حاملا معه كل ما هو نفيس في المنزل وإن كانت أشياء ليست بالكثرة التي يمكن ذكرها إلا أنها كانت كل ما نملك .. كان في وسعي أن أغفر له سرقته لنا.. وكونه رحل من غير وداع، لكن ما لن أسامحه فيه ولن أنساه ما حييت هو أنه بعد ما أيقظ في هذا الأمل سرعان ما نزعه مني قبل أن أتذوقه.

ألقت "چوان" برأسها إلى الخلف وابتسم "تانير" ابتسامة كلها مرارة..

- لقد قال أنه سيكون أفضل أب أفخر به. لقد قال الحقيقة مرة واحدة فقط. إنه أهانني وهذا ما أستحقه.

وعضت على شفتيها لتحبس دموعها.. ثم وضعة ذراعيها على صدرها انحنت إلى الأمام لتخفي عنه الإحساس بالألم الذي قد بدا عليها.. تألمت وكأنها هي التي عانت ما سرده "تانير". كان في السابعة من عمره وقتئذ أي أنه كان صغيرا جدا لم ينتصب عوده بعد، ولا يقدر على تحمل مثل هذه الآلام النفسية وخيبة الأمل هذه التي قد لحقت به.

تعاطفت "چوان" معه فبادلته الحديث مستفسرة :

- ووالدتك؟ أين كانت؟ لماذا لم تمنعه من الرحيل؟ لماذا..؟

قاطعها بجفاء:

- عليك أن تقدري موقفها، لقد استيقظت هي الأخرى لتكتشف غياب زوجها وأني قد تركته يسلب مدخراتها الضئيلة.

ثم نهض ليفتح النافذة ثم التفت نحوها غير أنه عندما اكتشف الوجوم باديا على وجهها لم يتفوه بكلمة واحدة بل اكتفى بالنظر إليها.. ثم قال بصوت مقتضب:

- كنت أعتقد أنهم قصوا عليك كل هذا.. كل الناس في المدينة على علم بهذه الأمور.. إن أمي وقتها خرجت للبحث عنه.

لم يترك فرصة ليرى رد فعل "چوان" إزاء هذا واختفى في الظلام.

تقدمت "جوان" نحو النافذة لترى "تانير"..

لقد المتها الحقيقة الآن وكانه سوط تجلد به.

الآن قد أصبح من المستحيل عليها أن تحب "ديف" أو حتى تفكر فيه.

لقد وقعت في حب "تانير".

الفصل التاسع

كيف لم تفهم "جوان" الحقيقة قبل ذلك؟ كيف ظنت انها حمى يوم "لون ديس" التي تملكت منها عندما تلاقت نظراتها الملتهبة مع النظرات الثاقبة لـ"تانير".

كانت تقول: إن هذا الرجل يزعجها ويثيرها وانها لا تحبه كما انها تدعي ايضا ان جاذبية "تانير" تمثلت في الجانب الجسماني فقط... إنها ترى فيها اكاذيب. ببساطة لقد انكرت "جوان" احاسيسها نحو "تانير" لان حدتها تفزعها.

وفي اليوم التالي جلست امام مكتبها وامسكت بصورة "جوني"، إن ما تشعر به اليوم نحو "تانير" لا يقارن بالحب الذي كان من نوع آخر، هذا الحب الرقيق، العميق، الحار، النابع من القلب وهو هذا الحب الذي

www.elromancia.com

كانا يتبادلانه هي و"چوني".

أن تحب "تانير" أمر يشبه محاولتها أن تسلك طريقا جبليا كله منحنيات ولا يخلو من المخاطر. غير أن وجدانها يوحي إليها بانه إذا ما وصلت إلى القمة فستكون الرؤية من اعلى خيالية وليس لها ما يشبهها على الأرض.

غير أنه في الواقع لا توجد حواجز بينها وبين "تانير"، لانه لم يدع أحدا يتقرب منه.. ثم عاودتها الخواطر: لقد كانت بالأمس تريد أن تاخذه بين ذراعيها وأن تعمل على تخفيف آلامه. لكن للأسف استشفت من قسمات وجهه أنه لن يسمح لأحد أن يعزيه.

لقد سبق لـ"تانير" أنه كلم "چوان" عن السياج الذي اقامه حولها المجتمع حتى يحميها من طبيعتها. لكنه لم يحدد انه هو أيضا قد شيد حول قلبه حصنا منيعا.

جلست في مقعدها متراخية.. وفكرت: إنه لا يرغب في حبها.. إنه ليس محتاجا إليها. لكنها رات أن هذا الاحتمال يصعب الاعتراف به لأنها كلما واجهت الحقيقة كانت تصرفاتها أفضل.

أفضل! وهنا انتصبت "چوان" فجاة. أفضل بعيدا عن "تانير"!! يا لها من فكرة مجنونة.

ترى هل طفت الآن "چوان" القديمة على السطح؟ ثم قررت وهي تنهض أنه مهما كلفها الأمر فسوف تتغلب على كل الصعاب للوصول إلى ما تبغي الحصول عليه: على حب "تانير" ارتدت فستانا مثيرا يظهر أنوثتها.

لما لمحته في الإصطبل وهو يضع التبن للخيول حيته :

- صباح الخير يا "تانير"!!

- ماذا تفعلين هنا؟! إننا لم نتفق على ميعاد درس آخر.

أجابته:

- إن مجيئي هنا ليس من أجل ذلك إنما لاكلمك بخصوص ما قد قلت لي بالأمس.

قال وقد نفد صبره:

- أراك ترثين حالي الذي يهمك كثيرا! أترين في طابع من هو في احتياج إلى إشفاق الآخرين عليه؟!

وبحركة جافة معطيا لها ظهره عاد إلى عمله.

- لست الآن على استعداد لمناقشة هذا الموضوع. وإذا حدث فجاة أن اغير رأيي أعتقد انه من حقي أن أحدد الوقت والمكان.. والشخص الذي اثق به.

أردفت "چوان" محاولة إظهار الهدوء لتخفي ما قد لحقها من حقد نحوه.

- مفهوم! لكنك تغافلت عن أنك خلال سنتين لم تكف عن مضايقتي واستفزازي بطريقة أو باخرى غير مبال بما سوف يكون لهذا من رد فعل عندي . أتخبرني لماذا لك الآن الحق في اعتبارات بعيدة عني؟

وهنا من شدة ثورته أمسك بذراعها ودفعها نحو باب الحظيرة قائلا ببرود:

- هيا! اخرجي من هنا!

www.elromancia.com

لكن "چوان" ابتعدت عن الباب بكل ثبات مستطردة :

- ليس قبل أن تقص علي الباقي. ليس قبل أن تكلمني عما حدث بعد ذلك... عن والدتك.

أجابها والغضب يطل من عينيه:

- أستحلفك بالله يا "چوان"..

- لن أتحرك من هنا!

ازدادت ثورة "تانير" فضرب الحائط وتسبب في سقوط بعض لوازم ركوب الخيل من سرج ولجام وخلافه كانت معلقة على حامل خشبي.

- أتريدين أن أكلمك عن والدتي؟ حسنا! ترى أتعتقدين أنه عندما كنت أعود إلى المنزل كل مساء لأجد شخصا غير أبي في حجرتها أمر يزعجني؟ كلا، لا بالمرة لأن صبيا في مثل عمري وقتئذ عامة يعتاد الوضع الذي يفرض عليه.

وكان "تانير" من شدة توتره وهو يسرد أدق مرحلة في حياته يذهب ويجيء بعصبية .

ثم استطرد:

- أما ما لم أحتمله فهو أن أضطر لقبول بل للخضوع لترك كل شيء خلفي. لكني أشعر أنك لن تلمسي ما أتكلم عنه، إذ إنك قضيت حياتك في نفس المنزل.. و"چوني" بالقرب منك، ليس في إمكانك أن تتصوري ماذا يحدث عندما أرى ذات مساء أمي تحزم متاعها لتذهب بعيدا .. كان من المفروض أن أترك كل شيء ولا سيما القليل من الأصدقاء الذين كنت أرتبط بهم.

ومنذ ذلك الحين تعلمت اللامبالاة. الإحساس بانه لا قيمة لأي شيء بالنسبة لي مادمت سوف أتركه.

قامت "چوان" منزعجة قائلة:

- "تانير"..

فقاطعها رافعا يده إشارة للانتظار حتى ينهي حديثه.

- انا لم أنه حديثي.. لقد وصلت الآن إلى أدق نقطة.. لقد استقللنا في "ديكتون" عندما كنت أبلغ الثانية عشرة من عمري.. ولكن هذه المرة كان لنا استقرار .. للأسف - كنت أجهل: لماذا تم هذا ؟ ولكني لم أستفسر أبدا. كان لوالدتي صديق "توم ليل" رجل متزن كان يعاملنا معاملة حسنة جدا.. غير أن ما كنت قد ظننته استقرارا كان بالنسبة لي مصيدة.. بعد ستة شهور من بقائنا هذا ظللت اتمنى واتعشم أنه سوف يكون لنا في النهاية منزل حقيقي واننا سوف نعيش كباقي الناس.. كان عندي أمل في تحقيق ذلك، "الأمل"! يا له من خداع! الأمل! ما هو إلا وسيلة يكذب بها المرء على نفسه.

كان "تانير" يراقب وجه "چوان" خلسة ليرى انطباع حديثه عليها، ثم أدار وجهه عنها وأكمل:

- وذات يوم في شهر ديسمبر وبالتحديد أسبوع قبل عيد الميلاد فوجئت عند دخولي إلى المنزل بوجود حقائب وصناديق في كل أرجاء المنزل ووجود شخص غريب في حجرة أمي.. حينئذ جن جنوني لمجرد التفكير في أننا سنرحل مرة أخرى.. فما كان مني إلا أني خرجت إلى ما يمكن اعتباره حديقة بالنسبة لنا، وأخذت قضيبا من الحديد وانهلت

www.elromancia.com

على سيارة هذا الغريب إلى أن حطمتها. لقد تصرفت هكذا بدافع إحساسي أنه أتى لينتزع مني مرة أخرى الاستقرار الذي أنشده، أي أن نترك ما قد اعتبرته مقرا دائما. فما كان من أمي إلا أن تطلب لي الشرطة وبعد يومين كنت نزيلا في مؤسسة أحداث.. وهناك وجدت مكانا أبقى فيه.

وببطء أدار رأسه نحو "چوان" فرأى الدموع تنساب على وجنتيها ثم أمسك بها من الكتفين وهزها بعنف قائلا:

- لا تنظري إلي هكذا يا "چوان"، كنت مشتاقة إلى معرفة المزيد، إلى معرفة كل شيء وها قد عرفت والآن هل أنت راضية؟ إذن لا ترثي لي. لا تبكي على حالي، إني لا أريد من أحد أن يبكي علي.

كانت "چوان" تنظر إلى عينيه دون أن تصغي إليه.

عيناه تبدو عليهما الأحقاد المتراكمة عنده من جراء هذه الظروف..

- لقد أخطأت يا "چوان" بمجيئك عندي.. إذ قد أيقظت في كل المشاعر النائمة.. أرجوك ! إنه مازال هناك وقت لتختفي من حياتي.

لكن "چوان" لم تتأثر بكلماته هذه. وكانت نظراتها تعبر عن رغبتها في البقاء معه.. إنها تريد هذا الرجل كما هو بأحقاده وأحزانه وبتصرفاته الوحشية التي ما هي إلا ثمرة الماضي المرير.

- لقد انذرتك يا "چوان"! اهربي مني..

وبتنهيدة غيظ، أخفض "تانير" ذراعيه وتفرس المرأة الشابة طويلا ثم جذبها ناحيته وقبلها بقوة. أخيرا طالب بشفتيها اللتين قبلهما بنهم.

همس أمام فمها:

- لا تعرفين ما سأفعله بك إذا بقيت. لقد حذرتك. لكن الوقت قد فات الآن... فات...

حملها "تانير" بيديه القويتين واقترب بجسده من جسدها. تعلقت "چوان" بكتفيه وهي تتأوه. ثم ذهب بها إلى مربط حصان فارغ ووضعها برقة على التبن وهمس:

- سأفعل بك ما كنت أرغب أن أفعله منذ أول يوم رأيتك فيه. أحبك يا "چوان" وسأثبت لك ذلك فورا.

داعب "تانير" كتفي المرأة الشابة برقة لم تشك "چوان" أبدا في أنه يمتلكها، ولم يكف أيضا عن الهمس بالكلمات المعسولة في أذنها ثم أمطرها بسيل من القبلات الحارة التي تداعى لها كل جزء في جسدها.

ثم تأمل "تانير" المرأة طويلا ثم داعب خديها وشفتيها حتى أفلتت من المرأة بعض صرخات الممزوجة بالدهشة والأحساس الطاغي بالحب.

قال لها هامسا:

- إنك جميلة جدا يا "چوان". اتركي النار الكامنة بداخلك منذ فترة طويلة تلهبنا نحن الاثنين. دعينا نمارس الحب معا.

أظهرت اللحظات التالية أحاسيس رائعة. تلك الأحاسيس التي أعتقد الثنائي أنهما قد نسياها لكنها استيقظت داخلهما بقوة عن ذي قبل.

عندما أسدل الليل أستاره على مربط الحصان ابتعد "تانير" عن "چوان" برقة، ثم تأملها بنظرة تظهر الحب الذي يكنه لها، وداعب جسدها المرتعد طويلا.

همست بصوت أجش:

www.elromancia.com

- إنك رائع يا "تانير" ! يوجد قش على شعرك.

- وانت ايضا يا حلوتي. اتعرفين ان "لوكو" كان يرانا طوال هذا الوقت؟

صاحت قبل ان تتبين انه يتحدث عن حصانه:

- لوكو! اوه! لقد افزعتني...

قال لها وهو ينهض ويمد يده لها:

- لا تخافي. إنها الطبيعة يا حبيبتي.

ايقظت النظرات النهمة لـ"تانير" امام جسدها المثير رغبة اخرى ادهشتها. إنها لم تشعر ابدا بمثل هذا الاحساس. اخفضت عينيها وهي تشعر بالخجل...

وبحركة رقيقة امسك "تانير" ذقنها وهمس:

- اعرف ما تفكرين به يا عزيزتي. لا تخشي شيئا. احساسك طبيعي وغريزي. ربما تحتاجين إلي درس او درسين اخرين ... هلم بنا إلى منزلي...

###

مرت ساعات طويلة على ممارستهما للحب ثم سالته "چوان":

- وماذا بعد ان خرجت من المؤسسة؟

يبدو ان هذا السؤال سبب له بعض الضيق.

- اه من إلحاحك يا "چوان" ! اراك تريدين معرفة كل شيء، حسنا، بقيت في المؤسسة عاما وفيها قد تعلمت الملاكمة .

- عاما عقابا على تحطيم سيارة! اليست مدة طويلة؟!!

- بلى! لان امي لم تترك اي عنوان عند إيداعي المؤسسة، ثم بعد ذلك اودعتني هيئة الخدمة الاجتماعية عند اسرة قضيت عندها اسبوعين. ثم عدت إلى "ديكتون".. كنت اقضي ليلتي في چراج في "اشيلون"، عندما عثر "چو" علي ثم قام بعمل الإجراءات القانونية مع السلطات حتى يتمكن من ضمي إليه وهكذا بدات العمل عنده.

- حقا! إن لهذا الرجل قلبا كبيرا وإن كان يبدو جافا.

- في الواقع! وإلا فماذا كان يدفعه على هذا العمل؟ كيف يسمح لي بالبقاء عنده؟ انا! كان المجتمع ينظر لي كمتشرد وكنت مرذولا من الجميع!

- ومن اجل ذلك لا تريد ان تغادر "ديكتون"؟! الا ترحل إلى مكان آخر تتمم فيه احلامك؟

- مادام لي عمل هنا فسامكث هنا. والآن هل انتهينا من هذه المناقشات؟

- نعم! لقد فرغنا من الكلام!

###

عندما استيقظت "چوان" وجدت نفسها بمفردها على السرير ونظرت من حولها فوجدت "تانير" واقفا امام النافذة مستندا إلى الزجاج فسارعت بسؤاله والقلق يبدو عليها:

- ماذا يا "تانير" ؟ ماذا بك؟

- لا شيء! لا شيء بتاتا.

ثم استطرد:

- لم أضع في حسابي أنك ستكونين تلميذة جيدة بهذه الدرجة.

اضطرب قلبها وهي تشعر بخوف لا مبرر له داخلها.

- ماذا تقصد بقولك هذا؟

تظاهر بانه لم يسمعها. وأكمل:

- لم أتوقع أبدا أن دروسي ستذهب إلى أبعد من ذلك. أبعد مما كنت أعده لك. لكني لن أتذمر ولن أندم على هذا.. لقد حصلت على ضعف ما كنت أسعى إليه.

- الضعف..!

- نعم ! لأنني بينما ألقنك هذه الدروس لجذب "ديف" استفدت أنا الآخر.

فقالت "چوان" بنبرة فزع:

- تريد أن تقول إن ما حدث كان جزءاً من دروسنا؟

كان "تانير" يمزح. لقد أراد أن يجعلها مجنونة. لقد منحها كل الأسباب الممكنة لكي تكره.

استطردت ملحة:

- فسر لي ما تقول! لماذا فعلت هذا؟

- إن السؤال الحقيقي هو: لماذا أتيت عندي يا "چوان"؟ أحقا كنت تسعين إلى معرفة السبيل للوصول إلى اجتذاب "ديف"؟ أم مجرد إظهار العطف لهذا المتمرد الذي هو أنا؟ في هذه الحالة أقول لك: لست محتاجا إلى إشفاقك هذا. احتفظي به لنفسك.

قفزت وامسكت به.

اتعتقد انني تصرفت هكذا لانني اشفق عليك؟ لكن مع من مارست الحب إذن؟ ليس مع تلك التي تحدثك على أية حال! لأن ما حدث بيننا ليس له علاقة بالشفقة. إنه رائع يا "تانير". مدهش. لم أحس أبدا - طوال حياتي بمثل هذا...

قاطعها وابتسامة مريرة تعلو شفتيه:

-إنه مجرد إطلاق للمكبوتات بداخلنا لست أدري ! لكن أتذكرين ذلك اليوم الذي تقابلت فيه نظراتنا عندما كنا في حفلة "لون ديس"؟ أو هل النساء يتمتعن بفن النسيان؟ لو لم تكوني متحفظة في ذلك الوقت لكنا مارسنا الحب في تلك الليلة. لقد قضينا وقتا ممتعا وانتهى الأمر الآن.

هز "تانير" رأسه والقى عليها نظرة مليئة بالاحتقار، ثم واصل حديثه:

- اتعتقدين أنه يوجد شيء خاص بيننا؟ هل النساء دائما يتسمن بالخداع؟ إنها ليست بالنسبة لنا - أو على الأخص بالنسبة لي - سوى لحظات لهو امنحها لنفسي عندما تكون لدي الرغبة.

تفرسها "تانير" لحظة وقطب عينيه ليقرأ جيدا ما بعينيها ثم أضاف بلهجة عقيمة:

- على فكرة! لقد عادت "ليندا" إلى "ديكتون" مساء أمس وهي كما تعلمين جميلة وجذابة، وهي أيضا تتمناني وسوف تحصل علي بعد ملاحقتها لي. لكن لن يوجد مشاعر أو أحاسيس، هناك فقط ممارسة الحب. اتظنين يا "چوان" أن في هذه الحالة ستكون عواطفي نحوها مماثلة إلى تلك التي أكنها لك؟. والآن اعلمي أن دروسنا قد انتهت.

www.elromancia.com

وبينما كان يتكلم اسرعت "چوان" نحو سيارتها.. وكما في حلم كادت تسمع "تانير" يقول لها:

- إلى اللقاء يا "چوان".

الفصل العاشر

وبعد يومين ركنت "چوان" سيارتها امام مكتبها.. ونزلت منها وقد بدا عليها الإعياء بصورة لم يسبق لها مثيل.

منذ بضعة أيام لم ير "تانير" في المدينة.. ترى اين اختفى؟ بالنسبة لـ"چوان" فقد عللت الأمر بانه ربما هرب مع "ليندا"، غير ان هذه الفكرة لم تسبب لها اي حزن او غضب وإن كانت تعاني من حالة جمود وعدم صفاء الذهن.. فكانت تعمل وتاكل وتنام بطريقة الية اي انها مارست نمط الحياة التي كانت تحياها من قبل.. وها هي الآن تبكي "تانير" كما كانت تبكي "چوني".

وقبل ان تلحق بالباب كانت "جلينا" في استقبالها، فتحت الباب وامسكت بذراعها لتساعدها على تمالك أعصابها.

www.elromancia.com

ثم أعلنت:

- هناك حريق عند "ليل سمر"، لقد التهمت النيران المنزل كله تقريبا.

وبدأت تلمس في الأشجار.

ودون تردد اتجهت "چوان" نحو سيارتها.. ركبت واخذت الطريق المؤدي إلى مكان الحريق.

إن روح المشاركة الوجدانية تظهر في "ديكتون" عند الشدائد. الجميع يشمر عن ساعده دون تردد ليسهم في نجدة الجار. إنها الشهامة التي هي شيمة رجال المدن الصغرى.

وبقيت "چوان" و"جلينا" مع عشر نساء يومين في إعداد الشطائر وتقديم الشاي أو القهوة للرجال الذين يقاومون الحريق.. كان السواد يعلو وجوههم مع إحساس بجفاف في الحلق. ولمحت "چوان" "تانير" وهو ايضا يكافح النيران مع الآخرين، ولكن عندما تلاقت نظراتهما أدار "تانير" وجهه عنها وابتعد..

وفي اليوم الثالث وقد بدأ الرجال السيطرة على الحريق كانت "چوان" تقدم لهم القهوة.. ولما ذهبت إلى إحدى السيارات لتاخذ منها "ترموس" حتى تقدم القهوة إلى متطوعين آخرين جاءت إلى مسامعها هذه المحادثة:

- بالنسبة لي أنا لا أقول شيئا عنه لقد كافح النار بكل قواه.

وقفت "چوان" لتصغي جيدا، ولم تكن في احتياج إلى الاستفسار عمن يتكلمون، لانها كانت تعلم..

وجاءت إجابة الآخر:

- وهو يعرف كيف يطفئ النار.. كما أن اللهب لا يخيفه.

وانطلقت ضحكات من الجميع غير أن الأول استطرد :

- سواء كان قديسا أم شيطانا أرى انه يجازف مع النار، إنه يلقي بنفسه في الأتون غير مبال بما سوف يلحق به.

ليست هذه هي أول مرة تسمع فيها "چوان" تعليق الناس على بسالة "تانير"، وكان هذا يضيف عندها سببا آخر لتقلق عليه.. كانت ترى الذين يعودون من مكان الحريق حتى يلتقطوا انفاسهم وغيرهم ياخذون أماكنهم .. ها قد مر يومان لم تر فيهما "چوان" "تانير"..

بعد الظهر وبعد أن تكلمت مع أحد الرجال انصرفت في اتجاه دخان كثيف أسود.

هناك رأت "تانير" كان وجهه وعيناه يكسوهما السواد، كان مستندا على حائط صغير وعيناه مغلقتان من التعب وبدون مقدمات قالت له:

- لقد أحضرت لك شيئا تاكله!

فتح "تانير" عينيه لحظة ورات "چوان" فيهما وميضا تعرفه جيدا ولكنه وميض مضطرم وتقطعت انفاسها أمامه. تامل "تانير" - وهو يبتسم - الساندويتش و"الترموس" اللذين أحضرتهما.

- تدليل آخر هذا؟!

أجابته وهي تضع الطعام على الأرض.

- بالضبط!

الآن وقد اطمأنت على سلامة "تانير" إلا إنه لا داعي لبقائها في هذا المكان.. فهمت بالانصراف لكن صوت "تانير" اوقفها.

- لقد رايتك بالأمس مع "ديف"، كنت تعالجين حرقا في يده، أراكما متفاهمين. إنه فعلا ممتاز بالنسبة لك وهو الوحيد الذي يستحقك.

- اتريد أن ابقى معه؟ لماذا؟

فاجاب بسؤال:

- الم يكن هذا حلمك من البداية. وهو ما قد اتيت عندي من اجله اليس كذلك؟

- كلا ! .. يجب أن اعود. إنهم محتاجون لي هناك.

- نعم! اذهبي للحاق به! إنه محتاج لك هو ايضا.

وتركت "چوان" "تانير" وهي تعاني من مرارة النفس.

لقد كانت تعلم انه يتالم.. ولكن لماذا كان يرفض الحب الذي تقدمه له؟ لماذا كان يرفض الارتباط بمن هي على استعداد لأن تضحي بكل شيء من اجله؟ لماذا يشعر بهذه اللذة الماكرة في أن يجعلهما تعيسين؟

ولما تم إطفاء الحريق تماما، فقد راى "تانير" هو الآخر أن ليس من مبرر لوجوده في هذا المكان، ركب سيارته ومضى على الطريق السريع وهو يقود باكبر سرعة ممكنة.

وفي الطريق لم يستطع ان يمنع نفسه من التفكير في "چوان". نعم ! لقد حاول ان يتحاشاها خلال بضعة ايام ولكن لم يفد شيئا، لانه مازال يتذكر اللحظات السعيدة التي كانا يقضيانها معا.

ربما لو كان قد قضى بعض الوقت مع "ليندا" لكان لهذا قدرة على محو طيف "چوان" من امامه. لكن في الحقيقة هذه المخلوقة الشقراء لم تعجبه يوما ما. إنها "چوان" الآن هي التي استطاعت أن تملأ قلبه وعقله، إذ كان لحكمتها وحنانها واهتمامها به تاثير قوي عليه.

بالإضافة إلى هذا فهو لا ينسى تلك الجاذبية التي كانت لنظرتها في تلك الليلة التي قضياها معا.

لقد أراد أن يعاقب "چوان" لأنها عرفت كيف تجذبه. لكن السبب الرئيسي لقبول "تانير" ان يلقنها بعض دروس في الحب هو مطاردة وجه "چوان" له منذ حفلة "لون ديس" ومنذ ذلك اليوم تولد عنده إحساس غريب يجذبه نحوها وكانه لم يتقابل مع امراة من قبل.

واليوم ها هو يدفع ثمن غبائه.. إذ ليس في إمكانه ان يوفر لها ما قد يكون في وسع "ديف" تحقيقه: الأمان - الثروة - المسؤولية.

واعترف داخليا ان هذه السيدة ليست له لأنه ليس لديه شيء البتة يقدمه لها.

بعد أسبوع من حادثة الحريق علمت "چوان" عند عودتها إلى المكتب بعد الغداء، بموت الرجل المسن "چو" بازمة قلبية وكانت "چوان" قد جلست امامه منذ شهرين فقط لتعديل وصيته.

سوف تتغير مدينة "ديكتون" من بعد وفاته: "ديف" سيتولى إدارة "اشيلون" بطريقة مما لا شك فيه اكثر وداعة عن ابيه.

وكان "چو" قد اعلم "چوان" انه لن يترك إلى "تانير" شيئا يذكر

www.elromancia.com

بالمقارنة إلى ما سيحصل عليه "ديف". غير ان مائتي الف دولار تعتبر مبلغا معقولا.. يكفي لـ..

تسمرت "چوان" وهي تفكر: هذا المبلغ كاف، من الممكن أن يسمح لـ"تانير" ان يحقق به أحلامه.. لان بعد وفاة "ماكليستر" الكبير اصبحت له الحرية ان يذهب حيثما شاء.

وهكذا استسلمت للتفكير في الوضع الجديد، مستحيل! لا يستطيع الرحيل! بل اصبح لا ينبغي أن يرحل. "تانير" كان يحبها مهما حاول الإنكار أو العمل على إخفاء مشاعره نحوها، وهي تعلم ذلك كما انها هي أيضا لن تتركه يحطم حياته لهذا السبب .

###

لم يرفع "تانير" رأسه عندما ركنت "چوان" سيارتها "الڤولڤو" خلف المقطورة الملحقة بعربته.. كان وقتها منهمكا في وضع صناديق فيها ولم يلتفت إلا لما رآها بجواره.

قالت له وهي تتنهد:

- لقد علمت بوفاة "چو" وأعلم انك كنت تحبه يا "تانير".

توقف "تانير" لحظة عن تحميل العربة ووقف يتامل المزرعة من حوله قائلا:

- لقد امسك - رحمه الله - بذراعي قبل وفاته ولم يقل لي كلمة واحدة.. بل ظل فقط ينظر إلي.. وهنا فهمت انه يقول لي: الوداع، الوداع يا ابني.. كانت فعلا نظرة وداع أب لابنه.. انا لا انتزع شيئا من

"ديف". لكني قد سعدت لحصولي على احسن شيء من "چو"، لقد كنا "چو" وانا عندما نختلف لسبب أو آخر سرعان ما نتفاهم كل بطريقته. أما "ديف" فلم يكن بينهما تفاهم!

ظل "تانير" ساهما لحظة ثم ابتعد عن العربة.

- حسنا ! الأفضل لي أن استمر..

وهنا فزعت "چوان". فعلا كان "تانير" ينوي الرحيل من جديد.. تاركا إياها خلفه كما اعتاد ترك كل ما يحب.

وامسكت بذراعه صارخة:

- انتظر يا "تانير" ! هناك... لدي شيء ما أود ان اقوله لك. تذكر عندما قلت لي انه يوجد بداخلي نار هائجة وقتها لم اصدقك. لكن رويدا رويدا بدات اشعر بها وهي تضطرمني، إنها جزء مني لكنك انت الوحيد الذي اكتشفتها يا "تانير". انت لوحدك الا يجعلك هذا تفكر في موقفك؟ الا تسال نفسك أن هذه النار لم تشتعل إلا بسببك؟

- إنك تتحدثين عن ممارسة الحب يا "چوان". فقط ممارسة الحب...

- لا! إنك مخطئ. ممارسة الحب التي تتحدث عنها تاتي في المرتبة الثانية. إنها نتاج ما اشعر به نحوك.

- إنك لا تعرفين ماذا تقولين. لماذا تكررين هذا الكلام يا "چوان"؟

صاحت بصوت مؤثر:

- لانك تكذب ! لقد كان "چوني"...

فقاطعها بنبرة جافة:

www.elromancia.com

- أنا لا أريد سماع هذا الاسم.

- لا يهم ! لكنك ستسمعه على الرغم منك. انت تعلم اني كنت ابحث عن رجل اشترط فيه أن يكون المكمل لـ"چوني"، واني ساحبه مثل "چوني" لكني كنت مخطئة ! ليس هذا ما اريد يا "تانير" إني اريد اكثر.. اكثر جدا..

فسالها بانفعال:

- ولماذا تقولين لي هذا الكلام؟ إذا كنت تريدين اكثر مما كان يحضره لك "چوني" العزيز فما عليك إلا أن تنظري إلى مدخل المزرعة.

فاستطردت دون أن تصغي إليه:

- أن احب "چوني" كان امرا سهلا لأني في الواقع كنت قد قررت أن اهبه كل الحب لأنه سوف يكون لي. اما معك فلم اسمح لنفسي باخذ اي قرارات. لأن ما شعرت به نحوك اقوي من غيره. إن حبك كما يكون قد ضربني بعصا سحرية اعادتني إلى صوابي.

ثم اضافت وهي تقترب منه:

- إن "چوني" كان قد اضاف شيئا رائعا إلى حياتي. اما انت.. انت حياتي!

فقال بنبرة ثابتة محاولا إبعاد نظره عنها:

- انت تعلمين جيدا ما تقولين ؟ اعتقد انك لا تعلمين !

- اعلم تماما ما اقوله يا "تانير" ! اعلم معنى كلمة "إلي الابد" هل مطلوب مني أن أجثو امامك حتى تصدقني ؟ هل ينبغي أن اتوسل إليك؟

اجابها ممسكا بيديها:

- لا ! لا تبكي! انا لا احتمل هذه الدموع.. انا لم ابغ.. اتعشم انك على يقين كامل بما تفعلينه الآن. لاني إذا ما حصلت عليك فلن اتركك ابدا.. ابدا.. إلى الأبد.

ولأول مرة في حياته ارتجف "تانير" وهو يحتضن رفيقته... ثم أراد أن يفصح عما بداخله:

- لم اكف يا "چوان" طوال هذه الاسابيع الماضية عن الكفاح حتى لا اقع في هذا الفخ الذي ينصبه لي الامل وتعلمين جيدا أن الأمل قد خدعني كثيرا في حياتي. وعندما كنت افكر فيك عالما انك كل شيء في حياتي كنت اخشى أن...

فقاطعته قائلة:

- انت مجنون يا "تانير". كيف تتوقع شيئا مثل هذا؟ وكيف لم تسال نفسك: إذا ما كنت انا ايضا اخشى نفس الشيء؟

- لقد تساءلت مرات كثيرة. ولكني كنت ابتعد عن إطالة التفكير فيه. لاني اعلم ان ضياعي اكيد إذا ما بدأت الدخول في هذه الاعتبارات.

لم تر "چوان" وجه "تانير" المستند إلي كتفها لكنها كانت تسمع صوته الأجش الهامس:

- عندما رأيت سيارتك كدت اقول : إنك اتيت من باب المجاملة لتسمعيني كلمات وداع مع اطيب التمنيات لإقامتي الجديدة، لكني تيقنت أن الأمل لا يموت بسهولة حتى ولو لشخص مثلي. وكنت اشعر

www.elromancia.com

انني قد اخطات في التفكير في الرحيل.

نظر "تانير" حينذاك إلى "چوان" وقد اربكه جمالها. اظهرت اشعة الشمس شعرها المتدلي على كتفيها العاريتين وفستانها الشفاف الذي يظهر صدرها. داعب شعرها بحنان. كان يموت شوقا لان يقبل هذا الفم المثير ويتذوق من رحيق شفتيها. إنها تشبه النحلة التي تقطر عسلا مصفى يتساقط من فمها... ولكنها إذا مست لسعت وحتى لسعتها لا تخلو من العسل... كان حديثها يقطر رغبة عارمة في احتضان هذا الرجل الذي كانت في انتظاره منذ ليالي طويلة وهي الآن بين ذراعيه.

لم ير في عينيها سوى تلك الرغبة القاتلة المماثلة لرغبته... كانت تتنفس برقة وهي تشد نفسها إليه. داعب "تانير" كتفيها بشفتيه ثم تمتم:

- "چوان"، انا احبك.

شعر بها وهي تتراجع وتلقي زفرة وبينما كانت تبحث عن التعبير الذي في عينيه ابعدها عنه برفق ثم سالها:

- هل يصعب تصديق ما قلته؟

همست بدلال:

- نعم، بعض الشيء...

وهنا تلاقت شفتاه بشفتيها في قبلة اقشعر لها كل جزء في جسدها ليثبت لها صدق قوله.

قالت وهي تكتم تاوهها الدال على فرط الرغبة:

- لقد أحسست بشعور غريب لم أحس به من قبل مع إشباع الرغبة...

انزلقت أصابعها على ظهر "تانير" الذي أمطرها بسيل من القبلات الحارة التي أيقظت رغبة عارمة في كل جزء من جسدها. ثم واصلت حديثها:

- كان هذا مجهولا بالنسبة لي حتى الآن لانني كنت أجهل انه... انه الحب يا مالك قلبي.

ابتسم لها باستسلام تام:

- أعـرف أن هذا ليس بالوقت المناسب، ولا بالمكان المناسب، لكني أريدك يا "چوان"، وساظل ارغبك إلى الابد... إلى الابد.

لم تبد المراة اي مقاومة تذكر عندما اخذها بين ذراعيه وقبلها بحنان ورغبة. لقد تقارب جسداهما بشدة حتى كادا أن يصبحا جسدا واحدا واقتربا من نقطة اللاعودة.

شعر "تانير" بها ترتعد بين ذراعيه وقد وصلت إلي ذروة الرغبة.

- ليس لدي ادنى رغبة في أن أعيدك إلى منزلك...

كان من الواجب أن يقترح عليها أن يصطحبها إلي المزرعة، لكن الكلمات لم تخرج من فمه.

مازال أمامهما مشوار طويل يجب أن يمشياه قبل ان يبلغا غايتهما المشتركة.

قال وابتسامة ماكرة تعلو شفتيه:

- هيا بنا يا حبيبتي نمارس الحب لننجب أطفالنا...

www.elromancia.com

واتجها معا نحو سيارة "چوان" وكان على سطحها مقعدان مربوطان. هذان المقعدان اللذان كان يحلم "تانير" بوضعهما في حديقة منزله.

إن "چوان" هي المرأة التي عزم على حبها وعلى الاحتفاظ بها مدى حياته. سيجلس معهاوقت غروب الشمس في البلكون وسيشاهدان معا أولادهما يلعبون في الحديقة وقد غمرتهم جميعا السعادة.

تمت

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة